دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ISI International Scientific Indexing, [8140].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.3].

تعيين مَعْن بن زائدة واليًا على اليَمَن الأسباب والنتائج (١٤٢ - ١٥٠هـ/٧٥٩ - ٧٦٧م) دراسة للنصوص ضمن سياقها التاريخي

د. حسين صالح حسين العنسي
أستاذ مشارك التاريخ الإسلامي
رئيس قسم التاريخ والعلوم السياسية – كلية الآداب
جامعة ذمار – الجمهورية اليمنية

مُلَخّص

يتناول البحث بمنهجية علمية أسباب تعيين معن بن زائدة واليًا على اليمن، كما يتطرق إلى نتائج حكمه، وذلك من خلال وضع النصوص في سياقها التاريخي العام. وتكمن هنا أهمية البحث بأنه سيتفرد بدراسة مستقلة تتناول هذا الموضوع، وإن كانت ثمة إشارات ضمنية، أو تناولات جزئية في بعض الدراسات؛ لكنها لم تأتِ بالغاية الأساسية التي سيتناولها هذا البحث، والمتمثلة في معرفة طبيعة الأهداف التي أراد الخليفة الْمَنْصُور تحقيقها من وراء تكليف معن بن زائدة واليًا على اليمن عام (١٤٢هـ/٧٥٩م)، ومقارنة تلك الأهداف بنتائج حكمه لليمن، والتي استمرت حتى عام (١٥٠هـ/٧٦٧م)، وذلك وفق المتاح من المصادر الأصلية، من خلال مناقشة نصوصها وتحليلها ومقارنتها، مع العودة إلى خلفيات تلك الأحداث التاريخية بصورة تراتبية، وبما يتوافق مع سياقها التاريخي العام، والواقعي الذي انتجتها، دون الخوض في تفاصيل تاريخ حياة معن بجميع جوانبها. متبعًا في ذلك المنهج التاريخي الوصفي، القائم على التحليل والمقارنة والنقد والاستنتاج. ويتكون البحث من ثلاثة محاور: (المحور الأول: يتناول، كخلفية تاريخية نبذة مختصرة عن الخليفة الْمَنْصُور ومعن بن زائدة. المحور الثاني: يناقش أسباب تعيين معن بن زائدة واليًا على اليمن. المحور الثالث: نتائج حكم معن بن زائدة على اليمن). ولعل أهم نتيجة خرج بها البحث، وهي النتيجة العامة أن هدف الخليفة الْمَنْصُور من تعيين معن بن زائدة واليًا على اليمن هو إخضاع اليمنيين لسلطته، أينما حلوا سواء داخل اليمن، أم في الأمصار الإسلامية المختلفة التي سكنوها، وذلك بهدف ضمان عدم خروج الخلافة من يد العباسيين، لاسيما بعد أن انتصر اليمنيون على قرشية الخلافة في معركة (قديد)، وما تلي ذلك من دورهم الأساسي في إزالة الدولة الأموية.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ١٥ أغسطس ٢٠٢١
تاريخ قبـول النشـر: ٣١ أغسطس ٢٠٢١

كلمات مفتاحية:

الخليفة الْمَنْصُور؛ مَعْن بن زائدة؛ اليمنيون؛ اليمن؛ قرشية الخلافة؛ ولاية اليمن.

معرِّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.21608/KAN.2021.247287

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

حسين صالح حسين العنسي. "موقف اليمانيين من حركات المعارضة للدولة الأموية (٤١هـ -١٣٢هـ/٦٦١م -٧٥٠م)".- دورية كان التاريخية.- السنة الرابعة عشرة- العدد الثالث والخمسون: سبتمبر ٢٠٢١. ص ٨٧ – ١٠٤.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: hsynansy8@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

Open Access This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشرت هذه الدراسة في دَّورية كَان التَّارِيْخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةُ

أصبح اليمن بعد دخول أهله الإسلام، جزاء من الدولة العربية الإسلامية، كولاية من ولاياتها، يحكم من قبل ولاة يعينون من عاصمة الدولة، حيث تعاقب على ولايته عدد كبير من الولاة منذُ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، والخلفاء من بعده، والدولتين الأموية والعباسية، لتعرف تلك الحقبة من تاريخ اليمن (بعصر الولاة)، فمن الولاة الذين كلفوا (مَعْن بن زائدة)، من قبل الخليفة العباسي الثاني الْمَنْصُور، والذي أراد بتعيينه واليًا على اليمن تحقيق عدة أهداف، الأمر الذي جعل اليمن تشهد أحداثًا سياسية وعسكرية كبيرة.

وثمة أسئلة إشكالية أثارها البحث، وحاول الإجابة عليها على نحو:

- كيف كانت أحوال اليمن قبل تعيين مَعْن واليًا عليها. ما أسباب اختيار مَعْن واليًا على اليمن؟ وما طبيعة الأهداف التي أراد الخليفة الْمَنْصُور تحقيقها من وراء تكليف مَعْن على رأس حملة عسكرية إلى اليمن؟ وهل تحققت تلك الأهداف؟ وغيرها من الأسئلة. وهذا البحث سيحاول الإجابة الموضوعية على تلك التساؤلات، من خلال النصوص التي تناولتها، والمدونة في كتب المؤرخين.

وتكمن هنا أهمية البحث بأنه سيتفرد بدراسة مستقلة تتناول، هذا الموضوع، وإن كانت ثمة إشارات ضمنية، أو تناولات جزئية في بعض الدراسات منها: دراسة إيمان أحمد شمسان "اليمن في العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٠٢هـ/٧٥٠-٨١٨م)، ط/١، ٢٠٠١م، دار الثقافة العربية للنشر، الشارقة"، لكنها لم تجب على تلك التساؤلات. كما يهدف البحث بشكل أساسي إلى عقد مقارنة بين أهداف تعيين معن بن زائدة واليًا على اليمن ونتائج حكمه، وفق المتاح من المصادر الأصلية، من خلال مناقشة نصوصها وتحليلها ومقارنتها، مع العودة إلى خلفيات تلك الأحداث التاريخية بصورة تراتبية، وبما يتوافق مع سياقها التاريخي العام، والوقعي الذي انتجتها، دون الخوض في تفاصيل تاريخ حياة معن بجميع جوانبها. متبعًا في ذلك المنهج التاريخي الوصفي، القائم على التحليل والمقارنة والنقد والاستنتاج.

ويحتوي البحث ثلاثة محاور رئيسة قسمت على النحو الآتي: الأول: خلفية تاريخية مختصرة عن الخليفة الْمَنْصُور ومَعْن بن زائدة. **والثاني:** يناقش أسباب تعيين مَعْن بن زائدة واليًا على اليمن. **والثالث:** الوقوف على نتائج حكم مَعْن بن زائدة لليمن. وانتهى البحث بخاتمة اشتملت على أهم الاستنتاجات التي خلص إليها.

أولاً: خلفية تاريخية مختصرة عن الخليفة الْمَنْصُور ومَعْن بن زائدة

١/١-الخليفة الْمَنْصُور

هو الخليفة أبو جعفر الْمَنْصُور، ثاني الخلفاء العباسيين، وأمكرهم وأدهاهم بلا منازع، وأكثرهم فتكًا بخصومه والمقربين إليه على حد سواء، ولهذا تعد شخصيته من الشخصيات المتناقضة التي تميزت بحنكة وفراسة سياسية جعلته بالفعل المؤسس الحقيقي للدولة العباسية ومثبت مداميكها[١]. تولى الخلافة بعد وفاة أخيه أبي العباس الملقب بـ(السفاح) سنة (١٣٨هـ/٧٥٥م)، وكان مدركًا أن أركان الدولة لم تكن ثابته بَعْد، فهناك مخاطر كثيرة لا تزال تهدد زوال ملكه منها: قوة عمه عبد الله بن علي وطلب الخلافة لنفسه[٢]. وأبو مسلم الخرساني ونفوذه الكبير في الدولة[٣]، وبنو عمومته من العلويين الباحثين عن الخلافة والإمامة يرأسهم محمد بن عبد الله بن الحسن (النفس الزكية)[٤]. وحركة الخوارج الرافضة لمبدأ الإمامة في قُرَيْش[٥]، والتمردات والتكتلات القبلية التي كانت تَشُب نارها بين الفينة والأخرى.

والخليفة تعامل مع تلك الأخطار بشتى الطرائق والوسائل المشروعة وغير المشروعة، فكانت غايته تثبيت أركان مملكته واستقرارها؛ بأي وسيلة كانت، بغض النظر لأي اعتبارات أخلاقية، أو غير أخلاقية، فـ: الدهاء، والقُوة، والشِّدَّة، والْقَتْل، والتشريد، والمكر، والْخِداع، والغدر، ونقض العهود والمواثيق، كانت كلها من سمات نهجه؛ طالما وأن ذلك سيمكنه من القضاء على تلك المخاطر، وإزالتها من أمامه لتثبت سلطته على جميع أراضي مملكته؛ لهذا النهج الذي اتخذه تمكن من إزالة تلك الأخطار الواحد تلو الآخر حتى أزالها جميعًا[٦]. ومما سهل على الخليفة الْمَنْصُور إنجاز ذلك؛ أولئك القادة والولاة الذي كان يختارهم بعناية متناهية، فينتقي الأشخاص انتقاءً، بعد اصطفائهم، وترويضهم، وفحص نواياهم، وبما يجعلهم أمر طوعه، يضرب بهم أعداؤه ومنافسيه وخصومه، فبهم تمكن من إذلال ما كان صعب أمامه، وسوى ما كان معوجًا وخارجًا عن طاعته، وخير دليل على ذلك أن من أحد ولاته (مَعْن بن زائدة) الذي عينه واليًا على اليمن. وهذا ما سيتناوله البحث تباعًا.

٢/١-مَعْن بن زائدة

هو أبو الوليد، مَعْن بن زائدة بن عبد الله بن مطر بن شريك يتصل نسبه إلى بني شيبان من قبيلة رَبِيعَة العدنانية، والتي كانت مساكنها ما بين البحرين والعراق[٧]. ويُعدُّ مَعْن من أشهر

أجواد العرب في العطاء والكرم، وواحدًا من الأبطال الشجعان الفصحاء، أدرك العصرين الأموي والعباسي، فنال كرم بني أمية، نتيجة وقوفه إلى جانبهم ضد العباسيين، واستمر معهم يناصرهم حتى انهارت دولتهم، لتقوم على أنقاضها الدولة العباسية[٨].

ونتيجة لتحيز مَعْن اتخذ العباسيون منه موقفًا معاديًا، وصاروا يبحثون عنه في كل مكان؛ لكنه ظل متسترًا عنهم هائمًا في الأرض، فلما استقام الأمر للخليفة الْمَنْصُور، رأى مَعْن أن من حسن السياسة أن ينضم إليه؛ لكنه تمهل حتى تحين له الفرصة المناسبة، فأتته تلك الفرصة (يوم الهاشمية)[٩]، إذ ثار فيه جماعة من أهل خراسان على الخليفة الْمَنْصُور سنة١٤١هـ/٧٥٨م، فحاصروا قصره بهدف قتله، فجرت معركة بينهما، وكان مَعْن متواريًا بالقرب منها، فخرج متنكرًا ملثمًا للقتال إلى جانب الخليفة، حيث قاتل قتالاً فيه نجدة وشهامة حتى هزمهم، ونتيجة لهذا الموقف الشجاع الذي أثبته؛ منحه الخليفة الْمَنْصُور الأمان، وعفا عنه وأكرمه، وصار بعد ذلك من كبار قادته، ومستشاريه المخلصين[١٠].

يتضح جليًا، أن مَعْن أوقف نفسه لخدمة الخليفة الْمَنْصُور، وسخر قوّته وحكمته في توطيد أركان مملكته، وحراستها، وحماية سلطانها من كلّ ما يضعفها، أو ينال من هيبتها، ولهذا كان جنديًا مستميتًا في سبيل المحافظة عليها من أي عصابة، أو جماعة، أو حركة خارجة عن سلطتها.

ولكرم مَعْن وجوده مدحه كبار شعراء عصره، فجاد عليهم بالعطايا والأموال. وتم اغتياله سنة ١٥١هـ٧٦٨م ثأرًا[١١].

ثانيًا: أسباب تعيين مَعْن واليًا على اليَمَن

٢/١-الأسباب كما جاءت لدى المؤرخين

سوف يُثبت في هذه المساحة نصوص المؤرخين التي تتحدث عن أسباب اختيار مَعْن واليًا على اليَمَن، ليتسنى بعد ذلك تحليلها ومقارنتها، بهدف استنباط الأسباب والأهداف، وهي على النحو الآتي:

(٢/١) ١-رواية الطبري

رواية الطبري المتوفي سنة (٣١٠هـ/٩٢٢م)[١٢] وعلى لسان عن معن بن زائدة قال فيها: (فدخلت على الْمَنْصُور ذات يوم ...فسلمت عليه وخرجت، فلما صرت عند السِّتْر صاح بي: يا مَعْن، صيحة أنكرتها! فقلت: لبيك يا أمير المؤمنين! ... فقال: يا مَعْن، إن لي باليَمَن هَنَات، قلت: يا أمير المؤمنين ليس لمكتوم رأي... فقال لي: إن صاحب اليَمَن قد هم بمعصيتي، وإني أريد أن آخذه أسيرًا، ولا يفوتني شيء من ماله، فما ترى؟ قلت: يا أمير المؤمنين، ولني اليَمَن، وأظهر أنك ضممتني إليه. ومر الرَّبيع[١٣] يزيح علي في كل ما أحتاج إليه، ويخرجني من يومي هذا، لئلا ينتشر الخبر، قال: فأستل عهدًا من بين فراشين، فوقع فيه اسمي وناولنيه، ثم دعا الربيع، فقال: يا ربيع، إنا قد ضممنا مَعْنًا إلى صاحب اليَمَن، فأزح علته فيما يحتاج إليه من الكراع والسلاح[١٤]، ولا يمسي إلا وهو راحل. ثم قال: ودعني، فودعته...، فخرجت إلى اليَمَن، فأتيت الرجل، فأخذته أسيرًا، وقرأت عليه العهد، وقعدت في مجلسه).

(٢/١) ٢-رواية أخرى للطبري

يقول الطبري: على لسان الخليفة: (أيظن أن أمير المؤمنين لا يغفر ذنبه (أي مَعْن بن زائده) بعد ما كان من بلائه، أعطه الأمان، وأدخله علي، فأدخله، فأمر له بعشرة آلاف درهم، وولاه اليَمَن)[١٥].

(٢/١) ٣-رواية الزبير بن بكار

يقول الزبير بن بكار المتوفي سنة (٢٥٦هـ/٨٧٠م)[١٦] على لسان معن بن زائدة: (قال: كنّا في مجلس ننتظر الإذنَ فيه على الْمَنْصُور، فتذاكرنا الحجّاج، فمنّا من حمده ومنّا مَنْ ذمّه، فكان ممّن حمده مَعْن بن زائدة، وممّن ذمّه الحسن بن زيد بن الحسن بن علي، وأُذن لنا، فدخلنا على أبي جعفر، فابتدأ الحسن بن زيد فقال: يا أمير المؤمنين، ما كنت أحسبني أبقى حتى يذكر الحجّاج في دارك وعلى بساطك، فيثنى عليه. فقال أبو جعفر: وما تنكر من ذلك؟ رجلٌ استكفاه قومه فكفاهم، والله لوددت أني وجدت مثل الحجّاج حتى استكفيه أمري، وأنزل الحرمين حتى يأتيني أجلي، قال: فقال له مَعْن بن زائدة: يا أمير المؤمنين إن لك مثل الحجّاج عددًا من أصحابك، لو استكفيتهم كفوك. قال: ومن هم؟ كأنّك تريد نفسك؟ قال: وإن أردتُها فَمَهْ؟ قال: كلاّ لست هناك، إن الحجّاج ائتمنه القوم فأدّى إليهم الأمانة، وائتمنّاك فخنتنا!)[١٧].

(٢/١) ٤-رواية الأزدي

يقول الأزدي المتوفي سنة (٣٣٤هـ/٩٤٦م)[١٨]: (عن السّري بن عبد الله الهاشمي[١٩] قال: إني لمع أبي جعفر بمكة في حجة حجها بعد بناية بغداد[٢٠]، وأهل اليَمَن يشكون مَعْن بن زائدة، فقلت له: يَا أَمِيرِ الْمُؤمِنِينَ غلامٌ من غِلْمَان بني شَيبَان، والله ماله عندك يد فتكافئه عليها، ولا قرابة فتصله بها، ولا رحم عليه، فبسر في وجهي بسرة لو أمكني الدخول في الأرض لفعلت، قال: ثم تواريت عن وجهه أيامًا، ثم جئت فقال: ما غيبك عني؟ فأعتللت بما يعتل به الناس، ثم قال لي: فما فعل رجل كان يصلي عن يمين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقلت:

ذاك أمية بن عمر بن عثمان بن عفان، قال: فما فعل؟ قلت: قتل يوم قُدَيْد، قال: فما فعل آخر كان يصلي قريبا منه؟ قلت: ذاك فلان بن فلان، قال: فما فعل؟ قلت: قتل يوم قُدَيْد، قال: فو الله ما زال يقترع المجالس ويقترع أسواقها، فأقول: إذ سألني قتل فيقول: متى؟ فأقول يوم قُدَيْد، فلما أكثر علي من ذلك وأكثرت عليه، قال: لا كثر الله في عشيرتك مثلك، بالله أنك عجزت عن ثأرك أن تطلبه حتى قام به هذا الْغُلَام الشَّيْبَانِيّ، وأنت تنفس عَلَيْهِ الرّفْعة، وما زال يؤنبني)[٢١].

(١/٢) ٥-رواية الأصفهاني

المتوفي (٣٥٦هـ/٩٦٧م)[٢٢] يقول: (عن مروان بن أبي حفصة... وكان رضاء الْمَنْصُور عن مَعْن، أنه لم يزل مستترًا... فلما وثب القوم على الْمَنْصُور وكادوا يقتلونه، وثب مَعْن ، وهو ملثم، فانتضى سيفه، وأبلى بلاء حسنًا، وذب القوم عنه حتى نجا... فقال له الْمَنْصُور: من أنت لله أبوك؟ قال: أنا طلبتُك يا أمير المؤمنين مَعْن بن زائدة، قال: قد أمنك الله على نفسك، ومالك، ومثلك يُصْطَنع، ثم أخذه معه، وخلع عليه وحباه وزينه، ثم دعا به يومًا وقال له: إني قد أملتك لأمر، فكيف تكون فيه؟ قال: كما يحب أمير المؤمنين، قال: قد وليتك اليَمَن، فابسط السيف فيهم حتى يُنْقَض حلف رَبِيعَة واليَمَن، قال: أبْلُغ من ذلك ما يحب أمير المؤمنين، فولاه اليَمَن، وتوجه إليه، فبسط السيفَ فيهم حتى أسرف).

(١/٢) ٦-رواية اليعقوبي

المتوفي سنة (٢٩٢هـ/٩٠٥م) في أحداث سنة (١٤٢هـ/٧٦٠م)[٢٣] يقول: (وخرج أبو جعفر في هذه السنة إلى البصرة يريد الحج... فأتاه الخبر بأن أهل اليَمَن قد أظهروا المعصية، وأن عبد الله بن الربيع والي اليَمَن قد هرب ممن وثب عليه وضعف،... فوجه بمَعْن بن زائدة الشيباني إلى اليَمَن ... ولم يحج).

٢/٢-مناقشة الأسباب وتحليلها

من خلال تلك النصوص – السالفة الذكر- التي أوردها المؤرخون، يستخلص منها أسباب تعيين مَعْن واليًا على اليمن، فـ(الطبري) يرجع السبب إلى تمرد والي اليمن على الخليفة. وفي مكان آخر يذكر أن الخليفة منح ولاية اليمن لمَعْن مكافئة له. بينما (الزبير بن بكار) يعزوا ذلك إلى تنقيب الخليفة عن شخصية كشخصية الحجّاج، يخضع بها اضطرابات في دولته، أما (الأزدي) فيذكر أن الدافع هو الثأر لقُرَيْش من اليمنيين ليوم قُدَيْد، في حين يرى (الأصفهاني) أن السبب هو نقض الْحِلْف بين رَبِيعَة واليَمَن. أما (اليعقوبي) فيرجع السبب إلى فوران أهل اليمن وتمردهم.

وفي هذه المساحة سوف يتم مناقشة تلك النصوص، وفقًا لبعدها الزماني التراتبي، وسياقها التاريخي العام، مع بيان الظروف التي انتجت تلك الأحداث الواردة فيها وخلفياتها التاريخية، على النحو الآتي:

(٢/٢) ١-تمرد والي اليمن على الخليفة

وهذا السبب كما تبين أورده الطبري، وذلك بأن الخليفة استشار (مَعْن) بأن واليه على اليَمَن أعلن التمرد والعصيان، فأراد أسره، بحيث لا يفوته من ماله الذي جمعه من اليَمَن شيء، فأبدى مَعْن استعداده تنفيذ المهمة، إذ توجه إلى اليَمَن على رأس قوة عسكرية، فقبض على الوالي، وصادر أمواله، ليجلس بعد ذلك على كرسي الولاية ليدير شؤونها. ومن الملاحظ أن الطبري أنفرد بهذا السبب دون غيره من المؤرخين- على حد علم الباحث-وليس ذلك فحسب؛ بل إن المؤرخين الذي أتوا من بعده، ونقلوا عنه من كتابه كـ: الأزدي المتوفي سنة (٣٣٤هـ/٩٤٦م) والأصفهاني المتوفي سنة (٣٥٦هـ/٩٦٧م)، وابن الخطيب البغدادي المتوفي سنة (٤٦٣هـ/١٠٧١م) وابن الأثير المتوفي سنة (٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، وابن خلكان المتوفي (٦٨١هـ/١٢٨٢م)، والذهبي المتوفي سنة (٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، لم يأخذوا برواية الطبري، وهذا كاف بأن الرواية ضعيفة وغير صحيحة.

كما أن المصادر التي سردت أسماء ولاة اليَمَن كـ: خليفة بن خياط المتوفي سنة (٢٤٠هـ/٨٥٥م) وابن جرير الصنعاني المتوفي في حدود سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، والخمزي المتوفي سنة (٧١٢هـ/١٣١٢م)، والجندي المتوفي سنة (٧٣٢هـ/١٣٣٢م)، والخزرجي المتوفي سنة (٨١٢هـ/١٤٠٩م)، لم تذكر أن أحد من ولاة اليمن خرج عن طاعة الخليفة الْمَنْصُور؛ على الرغم من أهمية هذا الحدث الذي لا يمكن إغفاله من قبل تلك المصادر التاريخية، أو السكوت عنه. والمطلع على أسماء ولاة اليَمَن في عهد أبو العباس السفاح والخليفة الْمَنْصُور، يجد جلهم من نسل بني الحارث بن كعب[٢٤]، وهم أخوال أبو العباس السفاح؛ كون أمه منهم؛ لهذا لا يمكن أن أحد من منهم سيعلن عصيانه عليهما، بل أنهم كانوا سندًا ودعمًا لسلطة بني العباس[٢٥].

يتبين مما سبق أن السبب الذي شمله نص الطبري عن تعيين مَعْن واليًا على اليَمَن من قبل الخليفة الْمَنْصُور؛ هو القضاء على تمرد واليه على اليَمَن، قد انفرد به دون غيره من المؤرخين؛ بل إن المؤرخين الذين نقلوا عنه أهملوا ذلك النص،

ولم يأخذوا به، كما أن المصادر التاريخية لم تذكر أن أحدًا من ولاة اليَمَن في عهد الخليفة الْمَنْصُور خرج عن سلطته، وهذا ما يجعل الباحث يميل إلى بطلان هذا السبب وعدم صحته.

(٢/٢) ٢-مكافئة لمَعْن

وهذا السبب ذكره الطبري أيضًا أن دافع تعيين مَعْن من قبل الخليفة الْمَنْصُور واليًا على اليمن، كان بمثابة المكافئة له، كونه من أنقذ حياة الخليفة، يوم (الهاشمية) ممن هجم عليه، فقاتلهم قتالاً شديدًا حتى هزمهم، فمنحه الخليفة الأمان، وكافئه بعشرة آلاف درهم، وولاه اليَمَن[٢٦]. ومن الملاحظ أن هذا السبب فيه شيء من الصحة؛ كونه جاء في سياق الأحداث التاريخية العامة، التي وقعت يوم الهاشمية عام (١٤١هـ/٧٥٩م)، فعقب هزيمة المحاصرين للخليفة من قبل مَعْن، تم تعيينه واليًا على اليَمَن، حيث وصل إليها في شهر ربيع الأول من سنة (١٤٢هـ/٧٦٠م) حسبما جاء في المصادر[٢٧]، كما أن هذا السبب أكد على صحته بعض المؤرخين[٢٨].

(٢/٢) ٣-إخضاع أهل اليمن

والذي أورده الزبير بن بكار، بأن الخليفة كان يبحث عن قائدٍ كالحجّاج بن يوسف الثقفي، يكلفه بضبط أمور مملكته، وقمع أي حركات مناوئة لحكمه، يقول الخليفة: (والله لوددت أني وجدت مثل الحجّاج حتى استكفيه، وأنزل الحرمين حتى يأتيني أجلي)[٢٩]، وإن كان في كلام الخليفة شيء من المبالغة، حينما ذكر أنه سوف يسلم له كل أمور مملكته، وينزل الحرمين للتعبد والصلاة حتى يأتيه أجله؛ إلا أن وحي كلامه يدل على أنه كان في أمس الحاجة لشخصية كشخصية الحجّاج، يستكفيه أمورًا مهمة فيكفيه، دون الحاجة لغيره؛ لاسيما وأن هناك بعض الولايات كان يكثر فيها التمرد والخروج عليه مثل (اليمن)، وتحتاج إلى شخصية كشخصية الحجّاج.

ومن خلال بعض نصوص المؤرخين يتبين أن الخليفة أراد أن يصنع له حجاجًا في عصره مثيلاً بالحجّاج بن يوسف الثقفي، حجاجًا يكون ولاؤه الخالص له ولدولته، يمتشق السيف سبيلاً لتنفيذ سياسته، ويحمل الناس على منهاجه وخططه، يؤدب المعارضين له بأشد أنواع العقاب، بما فيها القتل والتشريد، ولهذا نجده يقول لمَعْن بن زائدة (ومثلك يُصْطنع)[٣٠]، أي من الاصطفاء والاختيار لأمر مهم، واصطنعه له اصطناعًا، قدم له معروف وأسداه له، بمَعْنى أن مَعْن قدم معروفًا للخليفة، وأسداه له حينما أنقذ حياته (يوم الهاشمية)، فكافئه الخليفة بالعفو والصفح عنه من أعماله العدائية، أثناء مناصرته لبني أميه ضد قيام دولة بني العباس.

ويرجح أن غاية الخليفة من كلمة (ومثلك يُصْطنع)، أي ومثلك يختار لأمر مهم؛ لكن قبل أن يولي مَعْنًا أمرًا مهمًا من أمور دولته؛ لابد من اختبار نواياه وتمحيصها؛ خصوصًا وأن ولائه الخالص كان للأمويين، فضلاً عن تهيئته وأعداده لهذه المهام الجسيمة.

لهذا ظل الخليفة يستخدم مع مَعْن نوعًا من الترهيب والترغيب، يتضح ذلك من قول الخليفة له: (إن الحجّاج ائتمنه القوم، فأدّى إليهم الأمانة، وائتمنّاك فخنتنا!)[٣١]، أي أن الحجّاج كان أمينًا على ما أوكل إليه، ولهذا أدى الأمانة، أما أنت يا مَعْن فقد ائتمناك فغدرت بنا، ووقفت إلى جانب أعدائنا، فكيف سنوكل إليك أمورًا جسيمة قد تكيد فيها وتغدر.

وبعد أن تأكد الخليفة من صدق نوايا مَعْن وإخلاصه الكامل له، قال لمَعْن: (إني قد أملتك لأمر)[٣٢]؛ أي يا مَعْن تأمل الأمر الذي سأكلفك به، ويجب أن لا تخيب أملي فيما سأكلفك فيه، ثم سأل الخليفة مَعْن بقوله: (كيف تكون فيه)[٣٣]، وإيمانٌ وإخلاص ووفاء للخليفة قال: (كما يحب أمير المؤمنين)[٣٤]، أي سأعمل وفقًا لمشيئتك وتوجهاتك بعزيمة صادقة.

ولا يستبعد رغبة مَعْن في التشبه بالحجّاج وإعجابه بشخصيته، فعندما تذاكروا سيرته في حضرة الخليفة، فمنّهم من حمده ومنّهم مَنْ ذمّه، (فكان ممّن حمده مَعْن بن زائدة)[٣٥]، وهذا ما دفع مَعْن إلى الظهور والتمثل بشخصية الحجّاج؛ بدليل رده على الخليفة بقوله: (يا أمير المؤمنين إن لك مثل الحجّاج عددًا من أصحابك، لو استكفيتهم كفوك. قال: ومن هم؟ كأنّك تريد نفسك؟ قال: وإن أردتها فمه؟)[٣٦].

إن تلك النصوص التاريخية السالفة الذكر تبرهن الرغبة المشتركة بين الخليفة من جهة، ومَعْن من جهة أخرى، فالأول يريد قائدًا كالحجّاج يمتشق السيف سبيلاً إلى تنفيذ سياسته، وتأديب المعارضين له بأشد أنواع العقاب حفظًا لمملكته. بينما مَعْن يريد التشبه بإخلاص الحجّاج وولائه وحزمه وشدته وقوة بأسه، فالتقت الرغبة بين الطرفين، ولهذا كانت أول مهام يكلف الخليفة بها مَعْن استعادة ولاية اليَمَن التي أزعجته بكثرة عصيانها وتمردها، مع القضاء على مراكز تجمع الخوارج فيها[٣٧].

ونختم الحديث عن تحليل هذا السبب بما قاله: مجاعة بن الأزهر للخليفة الْمَنْصُور، حينما وفد عليه من اليَمَن إلى بغداد، يشفع لمَعْن من تبذيره للمال: (يا أمير المؤمنين، مَعْن بن زائدة عبدُك، وسيْفُك، وسهْمُك، رميت به عدوّك، فضرب وطعن ورمى، حتى سهُل ما حزن، وذل ما صعب، واستوى ما كان معوجًا من اليَمَن، فأصبحوا من خول أمير المؤمنين، فإن كان في

نفس أمير المؤمنين هَنَة من ساعٍ، أو واشٍ، فأمير المؤمنين أولى بالفضل على عبده، ومن أفنى عمره في طاعته. فقبل عذره)[٣٨].

(٢/٢) ٤-الثأر لقتلى قُرَيْش في معركة قُدَيْد

والذي أشار إليه الأزدي أن سبب تعين مَعْن واليًا على اليَمَن من قبل الخليفة، هو (الانتقام والثأر) من اليَمَنيين على ما اقترفوه من مجزرة، بحق أشراف قُرَيْش وساداتها في معركة (قُدَيْد). ولمناقشة هذا النص مناقشة موضوعية؛ لابد من وضعه في إطاره الزمني، وسياقه التاريخي العام، من خلال تناول خلفيات الأحداث التي أفرزت وقائع معركة (قديد)، من خلال العودة إلى خلفية الصراع بين اليَمن وقُرَيْش، وتحديد طبيعة ذلك الصراع.

ويرجع علماء الأنساب أن أصل العرب قحطان وعدنان، و(قحطان) جد عرب الجنوب اليَمَنيون. و(عدنان) جد عرب الشمال (معد)، ومن معد نزار، ومن نزار: مُضَر، ورَبِيعَة، وإياد، وأنمار، ومن مُضَر قُرَيْش التي ينسب إليها الرسول صلى الله عليه وسلم[٣٩].

وقبائل قحطان اليَمَن اعتنقت الدين الإسلامي جميعها إما رغبة، وإما رهبة، وصارت اليَمَن ولاية تابعة للمدينة[٤٠]، وكان اليَمَنيون يأملون أن يكون لهم السلطة من بعد الرسول (ص)، بحكم إرثهم التاريخي في الملك، بدليل إفصاح وفد (كِنْدة) إلى المدينة على رأسه الأشعث بن قيس الكندي للرسول (ص) ومحاورته عن مكانتهم السياسية كملوك[٤١]. وكذلك موقف الأنصار (الأوس والخزرج) مع المهاجرين (قُرَيْش) في سقيفة بني ساعدة، وإصرارهم على أحقيتهم بتولي الأمر من بعد الرسول؛ لكن قُرَيْش القبيلة تغلبت على الأمر وصارت وريثة الحكم من بعده دون سواها[٤٢].

ومن هنا انتصرت قُرَيْش القبيلة على اليَمَن، فأدى ذلك إلى تململ في أوساط اليَمَنيين، كان أحد مظاهره، ما عرف بـ(حركة الردة في اليمن) التي تزعمها: عَبْهَلَة بْنِ كَعْب العنسي، وقيس بن مكشوح المرادي، والأشعث بن قيس الكندي، وعمرو بن معد يكرب الزُّبَيْدِي؛ برفضهم سلطة قُرَيْش؛ لكن قُرَيْش القبيلة، وقفت موقفًا متشددًا ضد المرتدين، واستطاعت التغلب على حركة زعماء (الردة) في اليَمَن بقوة السلاح، لتحكم بعد ذلك البلدان اليَمَنية بمنطق الغلبة والقوة[٤٣].

ولإيمان اليَمَنيين بوحدة أصول الاعتقاد الديني المجمع عليه، اندمجوا في المجتمع الإسلامي، الذي تحكمه قُرَيْش، من خلال مشاركتهم في الفتوحات الإسلامية؛ لكنهم في الوقت نفسه كانوا يبحثون عن (ذاتهم ووجودهم)، وهذا ما دفعهم بأن يلعبوا دورًا فعالاً في (الفتنة) التي نشبت في أوساط قبيلة قُرَيْش على الحكم، بين الفرع الهاشمي والفرع الأموي، وما كان دور عبد الله بن سبأ، وعبد الرحمن بن ملجم المرادي، وغيرهم من اليَمَنيين في هذه الفتنة إلى دليلاً على ذلك[٤٤].

ولعل زعامة قُرَيْش تنبهت لخطورة نفوذ اليمنيين ومحاولتهم انتزاع سلطة الخلافة من أيديهم، خصوصًا بعد أن بدأ يتسرب حديث (القحطاني)، الذي سيظهر ويملك البلاد، وهذا مالا ينسجم مع (نظرية قرشية الخلافة)، مما حدى بمعاوية بن أبي سفيان إلى حصرها في قُرَيْش بـــ(حديث الأئمة من قُرَيْش)، بهدف صرف التفكير في إمكانية أن يكون لغير قُرَيْش حظ في الخلافة، وبالتالي تحويل الأمر الواقع، والنظرية السياسية القبلية إلى شِرْعَة دينية، وظفت لها نصوصًا دينية، وجعلت الخروج عن سلطتها يعني الخروج عن الدين، كون الدولة والدين صارتا شيئًا واحدًا[٤٥].

وبعد أن حصرت الخلافة في قُرَيْش حاول اليَمَنيون أن يجدوا لهم مكانة في السلطة القرشية، إذ أضحت قبيلة (كَلْب) اليَمَنية[٤٦] بعد مصاهرتها لمعاوية بن أبي سفيان مشاركة في القيادة والحكم، كما صار لها دورٌ بارزٌ في تعيين خلفاء بني أمية، حال انتقال الحكم من الفرع السفياني إلى الفرع المرواني، كل ذلك على حساب نفوذ قُرَيْش وتسلطها، وما معركة (مَرْجَ رَاهِطٍ) التي حدثت سنة (٦٤هـ/٦٨٤م)، إلا معركة خالصة بين اليَمَانية والقرشية، والتي انتصرت فيها اليَمَانية ونجحت في ثبيت السلطة في الفرع المرواني[٤٧].

لكن مشاركة اليمانيين في السلطة كانت مقيدة بقرشية الخلافة، الذي أضحت حقًا دينيًا لقُرَيْش دون غيرها؛ ولهذا تحول اليمنيون إلى مهزومين وبائسين، بدليل أنه تولد لديهم فكرة ظهور (المنقذ، المخلص، المهدي، القحطاني، منصور حمير، الأصفر القحطاني)، كي يخلصهم من الفئة المنتصرة عليهم (قُرَيْش)، ويعيد لهم ملك أجدادهم (التَّبَابِعَة) وأمجادهم[٤٨].

ظلت قُرَيْش المتعالية متسلطة ومستأثرة بالحكم دون غيرها، وهذا ما عزز الخصام بينها وبين اليَمَنيين، فاستدعيت العصبية بكل صورها، لينقسم المجتمع المسلم إلى معسكرين، معسكر تمثله (اليمانية)، وآخر تمثله (المُضَرية) بزعامة قُرَيْش، فتوتر الصراع بينهما لينحا منحنًا تاريخيًا وأدبيًا وحضاريًا، فصار كل فريق يبحث عن أنسابه وأمجاده وحضارته ومكانته بين الأمم، أنتج هذا التنافس حركة نشطة في تأليف كتب

(الأنساب)، وظهور شعراء من كلا الطرفين، كل طرف يتغنى بأمجاده وتاريخه وأنسابه، معريًا الطرف الآخر ومتهكمًا عليه[٤٩].

وفي مقام آخر، كانت هناك حركة يمنية أخرى، وجدت من فكر الخوارج السياسي بارقة أمل للتمرد والخروج عن قرشية الخلافة وتسلطها، خصوصًا وأن فكر الخوارج يرفض فكرة الأئمة من قُرَيْش، وأن الخليفة يختار من قبل المسلمين سواءً قرشيًا كان أم غير قرشي عربيً أو غير عربيً، وسبيلهم لهذا الاختبار الشورى بين المسلمين، ولهذا ألتحق عدد من اليَمَنيين بحركة الخوارج، وصاروا يتزعمون هذا الفكر وينشرونه؛ بل أسند الخوارج الخلافة إلى رجل يمني هو عبد الله بن وهب الراسبي الأزدي في العراق، كما انتشرت أفكار الخوارج في اليَمَن[٥٠].

من ذلك يتبين أن اليَمَنيين طوال القرن الأول الهجري حتى معركة قُدَيْد سنة (١٣٠هـ/٧٤٨م) ظلوا يميلون إلى الخروج عن سلطة قرشية الخلافة بحثًا عن وجودهم[٥١]، مما جعلهم حركة معارضة متماهية مع فكر الخوارج، كونه سيحقق لهم ذاتهم واستقلالهم عن هيمنة قُرَيْش، فصاروا يلتفون حول أي زعامة معارضة تنادي بإزالة الحكم القرشي، وكان أخطرها حركة (الخوارج الإباضية) التي اعلنت ثورتها من حضرموت بقيادة عبد الله بن يحيى الكندي[٥٢].

تدافع غالبية اليمنيين حول عبد الله بن يحيى الكندي، ومبايعته إمامًا، فانطلق من حضرموت سنة (١٢٦هـ/٧٤٤م)، ليتمكن خلال مدة وجيزة من بسط سلطته على كامل اليَمَن، ثم اتجهت قواته بقيادة المختار بن عوف الأزدي[٥٣] صوب (مكة والمدينة)؛ لما لهما من أهمية دينة وسياسية كبيرة في نفوس المسلمين جميعًا، فاستولى على مكة دون قتال، ومن ثم قصد المدينة بعد رفض أهلها إعلان الولاء والطاعة للإمام، وحينما سمع والي المدينة بقدوم جيش الخوارج الآتي من اليَمَن؛ شرع بالتجهيز لصد هذا الزحف، فجمع جنده ورجال قُرَيْش ليلتقي الجمعان في (قُدَيْد) سنة ١٣٠هـ/٧٤٨م وهناك دارت معركة بين الطرفين، انتهت بهزيمة جيش المدينة ومقتل كثير من سادة قُرَيْش ورجالها[٥٤].

لقد اعتبره بعض اليَمَنيين -من الأنصار الساكنين في المدينة- الانتصار على قُرَيْش يوم (قُدَيْد)، هو انتصار كبير لليمنيين؛ خصوصًا بعد تلك الهزائم التي لحقت بهم طوال أكثر من قرن على يد قُرَيْش، فمحمد بن النعمان بن أبي عياش الزُرَيْقي الأنصاري[٥٥] يقول: (الحمد لله الذي أقر عيني بمقتل قُرَيْش، فقال له ابنه: الحمد لله الذي أذلهم بأيدينا، فما كانت قُرَيْش تظن أن من نزل على عُمان من الأزد عربي)[٥٦].

ومما يؤكد احتدام الصراع بين اليَمَن وقُرَيْش؛ أن (الزُرَيْقي وابنه) دفعا حياتيهما ثمنًا لحديثيهما ذلك، على يد حمزه بن مصعب بن الزبير وابنه عمارة، فحينما شاهدًا ابتهاج الزُرَيْقي وابنه بالانتصار، وسماع محادثتهما، أشتد غيضهما فقتلاهما، ثم تقدما حمزة وابنه بحماس شديد للقتال في صف جيش المدينة حتى قتلا[٥٧].

كما يؤكد أنها كانت حرب بين اليَمَن وقُرَيْش، تعامل جيش الخوارج الآتي من اليَمَن بعد انتصاره مع أسرى قُرَيْش، فمن كان (مهاجرًا) قرشيًا قتلوه، ومن كان من (الأنصار) وثبت أنه يمنيًا عفوا عنه، يقول الأصفهاني: (فكان إذا رأى رجلاً من قُرَيْش قتله، وإذا رأى رجلاً من الأنصار أطلقه)[٥٨].

وبعد انتصار اليَمَن في (قُدَيْد) على قرشية الخلافة، ثارت ثائرة الأخيرة، لتتحول إلى أداة منتقمة من اليَمَنيين، أينما حلوا، سواءً داخل اليَمَن أو خارجه، ظهر تجليات ذلك في الحرب المدمرة التي أعلنها آخر حكام الدولة الأموية مروان بن محمد المتعصب لمُضَر على اليَمَانية[٥٩]، إذ أرسل جيشًا كبيرًا بقيادة مروان بن محمد بن عطية السعدي لاستعادة مكة والمدينة، والتوجه نحو اليَمَن لإخماد الثائرين فيها، والانتقام منهم لقتلهم قُرَيْش يوم قُدَيْد، فتمكن ذلك الجيش من هزيمة عبد الله بن يحيى الكندي، وقتله مع قادته؛ لكن اليَمَنيين ظلوا يقاومون حتى تمكنوا من الظفر بقائد الجيش وقتله[٦٠].

وبعد مقتل قائد الجيش أسندت قيادته إلى عبد الرحمن بن يزيد بن عطية السعدي، ليقود حربًا ضروسًا ضد اليَمَنيين؛ يقول الأصفهاني في وصفها: (فقتل الرجال والصبيان، وبقر بطون النساء، وأخذ الأموال، وأخرب القرى، وجعل يتتبع البري والنطف؛ حتى لم يبق أحد من قتلة ابن عطية، ولا من الإباضية إلا قتله)[٦١].

وكان لحرب الإبادة التي قام بها الجيش الأموي في اليَمَن صداها لدى (يَمنْ) الشام، إذ ثارت ثائرتهم بقيادة ثابت بن نعيم الجذامي[٦٢]، فخلع طاعة مروان بن محمد، وأعلن الحرب ضده، تحت شعار (الأصفر القحطاني)، فحدثت معارك ضارية بين الطرفين، انتهت بهزيمة يَمن الشام وقتل قائدهم[٦٣].

ومن خلال عرض أحداث الصراع بين اليمنين وقُرَيْش (المُضَرية) وخلفياته على مدى أكثر من قرن، يتبين أنه كان هناك صراع بين إرادتين، الإرادة اليَمَنية التي تبحث عن وجودها وذاتها، والإرادة القرشية المنتصرة والمتسلطة على دولة الخلافة، فانتصار اليَمَنيين في (قُدَيْد) هو انتصار لإرادتهم، وكسر شوكة الإرادة القرشية بين العرب.

وحينما تحولت قرشية الخلافة من البيت الأموي إلى البيت العباسي، خشي الأخيرون من تزايد نفوذ اليَمَنيين وقوتهم؛ فنظروا إليهم نظرة خطر حقيقية يتهدد خروج الحكم من أيديهم، إن لم يكن زوال قرشية الخلافة، ولهذا تحرك ثاني الخلفاء العباسيين الْمَنْصُور إلى الحد من نفوذ اليمنيين، بكسر شوكتهم وإذلالهم، سواء من هم في داخل اليمن أو في الأمصار الإسلامية القاطنين فيها، حينما حرك جيشًا كبيرًا إلى اليمن بقيادة مَعْن بن زائدة فقتل من بها قتلاً فاحشًا[٦٤].

وبعد هذا الطواف عن خلفية الصراع بين اليمن وقُرَيْش، يعود الحديث إلى النص التاريخي الذي أورده الأزدي، والذي تشير فكرته العامة، إلى أن سبب تعيين مَعْن بن زائدة واليًا على اليمن من قبل الخليفة، هو الثأر من اليمنيين لقتلهم قُرَيْش يوم قُدَيْد.

وبعد فحص النص وتحليله يتبين أنه أتى على شكل حوار بين الخليفة والسّري بن عبد الله بن الحارث بن العباس، حال سماع الأخير شكوى تقدم بها أهل اليمن للخليفة من ظلم مَعْن وجبروته وقتله لهم، فأدان هذه الأعمال على شكل احتجاج، قائلاً للخليفة: (يا أمير المؤمنين غلام من بني شيبان، والله ماله عندك يد فتكافئه عليها، ولا قرابة فتصله بها، فبسر في وجهي بسرة لو أمكني الدخول في الأرض لفعلت، قال: ثم تواريت عن وجهه أيام)[٦٥].

ويفهم من كلام السري أن رد الخليفة عليه كان ردًا انفعاليًا غاضبًا؛ نتيجة انعدام سبب مقنع يقبل به السّري عن أعمال القتل الذي يقوم بها مَعْن في اليمن، مما يدلل أن الخليفة لم يكن يريد الكشف عن أهدافه السياسية والعسكرية في اليمن، ولو كان هدفه من تلك الأعمال الثأر من اليمنيين لقتلهم قُرَيْش يوم قُدَيْد، كما تحمله الفكرة العامة للنص لوضح ذلك للسّري في حينه، دون الرد عليه ردًا انفعاليًا أخافه وجعله يتوارى عن وجهه أيامًا.

وبعد أيام من القطيعة حضر السري إلى الخليفة، فعاتبه الخليفة عن غيابه، إذ أخذ يبرر له بأن ما يقوم به مَعْن في اليمن هو ثأر وانتقام لقتلهم قُرَيْش يوم قُدَيْد، مذكرًا إياه بأسمائهم بقوله له: (فما فعل رجل كان.... (فيرد السّري): قتل يوم قُدَيْد...، فما فعل آخر... (فيجيب السّري): قتل يوم قُدَيْد... (فيقول السري): فو الله ما زال يقترع المجالس ويقترع أسواقها فأقول: إذ سألني قتل فيقول: متى؟ فأقول يوم قُدَيْد، فلما أكثر علي من ذلك، وأكثرت عليه، قال: لا أكثر الله في عشيرتك مثلك)[٦٦].

ومن خلال تلك المحادثة بين الخليفة والسّري يتبين أن الأول استخدم مع الثاني الدهاء والخداع لإقناعه، بإثارت عصبيته القرشية، بهدف اشعال نار الثأر والانتقام في نفسه من اليمنيين ليوم قُدَيْد فقال له: (بالله أنك عجزت عن ثأرك تطلبه حتى قام به هذا الغلام الشيباني، وأنت تنفس عليه الرفعة)[٦٧].

إن رد الخليفة الْمَنْصُور على السّري، يتوافق ومنهجه السياسي في التعامل مع المخاطر التي تحدق بمملكته، فيعلن هدفًا غير هدفه الحقيقي، وهو الثأر لقُرَيْش من اليمنيين حتى يجمع حوله قُرَيْش بوجه خاص ومُضَر بوجه عام؛ لكن الهدف الحقيقي من إرسال مَعْن على رأس جيش لليمن هو إخضاع فوران أهل اليمن، وكسر شوكتهم حتى لا يشكلون خطرًا يزلزل أركان دولة بني العباس، إن لم يكن القضاء عليها؛ كونهم أصحاب الفضل في القضاء على الأمويين، ونقل سلطة دولة الخلافة القرشية للعباسيين[٦٨].

ومما يؤكد هذا الاستنتاج أن الخليفة تعامل مع عصيان وتمرد قبيلة (رَبِيعَة) التي ينتمي إليها مَعْن بنفس النهج والأسلوب الذي تعامله مع أهل اليمن، ففي سنة (١٥١هـ/٧٦٨م) انتفضت عليه بقيادة سليمان بن حكيم العبدي، فأراد ضربها وإذلالها؛ ولكن بأيدي يمنية، بإشعال نار الثأر في نفوس قادة اليمن ورجاله للانتقام من رَبِيعَة، لما اقترفه مَعْن من مقتلة بحق أهلهم باليمن، إذ عين عقبة بن سليم الهنائي الأزدي اليمني واليًا على البحرين وربيعه، فأبادهم.[٦٩]

وحينما انتهت مهمة عقبة بن سليم الهنائي، بإخماد تمرد قبيلة رَبِيعَة، وقتل قائدها، مع إبادة أغلب أهلها، سارع الخليفة إلى عزله متبرًا مما قام به قائلاً: (لا يراني الله أبوء بإثمه ولا أرضي فعله)[٧٠].

(٢/٢) ٥-نقض الْحِلْف بين اليمن ورَبِيعَة

والذي تضمنه نص الأصفهاني، بأن الدافع للخليفة الْمَنْصُور من وراء تعيين مَعْن واليًا على اليَمَن، هو (نقض الْحِلْف بين رَبِيعَة واليَمَن). وهذا السبب سيتم مناقشته وتحليله من خلال وضعه في سياقه التاريخي العام، والخلفية التاريخية للحلف بين اليَمَن ورَبِيعَة، كون الْأَحْلَاف كانت ظاهرة أساسية بين القبائل العربية قبل الإسلام، ولها قداسة خاصة وحرمة كبيرة بين المتحالفين.

فالْحِلْف في اللغة هو: العهد بين القوم والمعاهدة، وتحالفوا أي تعاهدوا، والمحالفة أي يحلف كل للآخر، وأصله اليمين الذي يؤخذ من المتحالفين. والْحِلْف في الأصل المعاقدة والمعاهدة

على التعاضد والتكاتف والاتفاق، وتحالفوا بمَعْنى تعاهدوا وعقدوا اتفاقًا وعهدًا، وتآخوا على العمل يدًا واحدة[٧١].

ويكون الْحِلْف بين الأفراد، كما يكون بين الجماعات والقبائل والحكومات، والأحلاف تكون معلومة ومعلنة بين الأفراد والقبائل والجماعات، تعقد فيما بينها لضرورة الدفاع عن مصالحها الخاصة أو العامة، وأخذ الحقوق وردع ظالم، وإنصاف مظلوم، وتنتهي آجالها بانتهاء الغاية التي من أجلها عقد الْحِلْف، وتكون الهيمنة في الأحلاف التي تعقد بين قبائل غير متكافئة للقبائل القوية. ونظرًا إلى ما للحلف من قدسية في النفوس، أصبح من المعتاد عقده في مراسيم مؤثرة، ويدون بنوده في كتاب، وينسخ بحيث يكون لكل طرف نسخة[٧٢].

وحلف اليَمَن ورَبِيعَة عقد بين الطرفين قبل الإسلام في عهد تبع بن حسان بن تبع بن مَلْكِيكرْب بن تُبَّع بن الأقرن[٧٣]، (في القرن الخامس الميلادي)، وقد تضمن الْحِلْف عدة بنود منها: المناصرة والمؤازرة، والإخاء، والتكاتف، ولا غدر، ولا خذلان، والدفاع عن مصالح الطرفين، ويحمل هذا الْحِلْف الصغار عن الكبار، ويستمر حتى أبد الآبدين[٧٤].

ولأهمية الْحِلْف بين اليَمَن ورَبِيعَة استمر في صدر الإسلام وبعده، بدليل أن علي بن أبي طالب حاول أن يقيم نوعًا من الانسجام وشحذ الهمم في جيشه للقتال معه ضد معاوية بن أبي سفيان، فعمل على تجديد الْحِلْف بين رَبِيعَة واليَمَن في مواجهة قُرَيْش[٧٥].

استمر الْحِلْف بين اليمن ورَبِيعَة في عهد الدولة الأموية، وشكل تكتلاً قويًا ضد صلف المُضَرية (قرشية الخلافة) وظلمها وتعاليها، وذلك دفاعًا عن مصالحها الخاصة والعامة، وأخذ حقوقهما وردع المظالم عنهما، وكل ما وقعت مظلمة على أحد الْحُلَفاء تنادى الحيين لتجديد بنود الْحِلْف، بدليل أنه تم تجديد بنوده سنة (٦٤هـ/٦٨٤م) عقب هزيمة رَبِيعَة على يد المُضَرية في العراق، فطلب زعيمها مالك بن مسمع بن شيبان من رئيس اليَمَانية –آنذاك- عمرو بن مسعود بن عدي الأزدي إلى تجديد بنود الْحِلْف بينهما، من أجل أن يكونوا يدًا واحدة لقتال مُضَر انتصارًا لرَبِيعَة، مع انتزاع حقوقهم منها، وفي هذا يقول ابن عساكر: (انطلق مالك بن مسمع،... إلى مسعود ليحالفوه، ...أكد بينهم الحلف، فكتبوا بينهما كتابًا وختمه مسعود بخاتمه، وكتب لمالك بن مسمع كتابًا وختمه بخاتمه، ودفع الكتاب إلى ذراع النميري أبي هارون بن ذراع فوضعوهما على يده)[٧٦] تأكيدًا للحلف.

وبتجديد بنود الْحِلْف بين اليَمَن ورَبِيعَة في العراق صار تكتلاً رادعًا حد من نفوذ مُضَر وتسلطها؛ وليس ذلك فحسب، بل أجبرها بعد التفاوض على دفع ديات قتلى ربيعه، كما منحها حقوقها ومصالحها التي سلبت منها، فضلاً عن علو مكانة الْحِلْف اليمني الرَّبْعي وزيادة قوته ونفوذه، ليصبح بعد ذلك شوكة في خاصرة الدولة الأموية يتهدد وجودها[٧٧].

ونتيجة لهذا التهديد الذي شكله الْحِلْف، حاول الخليفة هشام بن عبد الملك (حـ١٠٥-١٢٥هـ/٧٣٤-٧٤٣م) الوقوف أمامه والحد من قوته ونفوذه، مع إظهار عصبيته لمُضَر، إذ انتهج سياسة عزل الولاة والعمال المنتمين لحلف (اليمن ورَبِيعَة)، وإحلال محلهم من مُضَر، فعزل زعيم اليمانية في خراسان جُدَيْع بن علي الْكَرْمَانِيّ الأزدي اليمني[٧٨] من ولايتها، وعين بدلاً عنه نصر بن سيار الكناني -أحد زعماء المُضَرية-، فأظهر الأخير تعصبه لمُضَر ضد اليمانية التي يبغضها (فكان لا يستعين بأحد منهم، وعادى أيضًا ربيعه لميلها إلى اليمانية... وأمر بالْكَرْمَانِيّ الى الحبس)[٧٩].

ونتيجة لذلك التعصب الذي أظهره الخليفة هشام بن عبد الملك، ووالية على خرسان تجاه اليمانية وزعيمها الذي نجا بنفسه من السجن، اجتمعت إليه الأزد، وسائر من بخراسان من اليمانية، مع انحياز ربيعه إليهم، وللوقوف صفًا واحدًا أمام ذلك الصلف والتعنت، تنادى الحيين إلى تجديد الْحِلْف التاريخي بينهما، ومما يؤكد أهمية الْحِلْف وقداسة بنوده اجتهاد (الْكَرْمَانِيّ) في الحصول على نسخته الأصلية، التي تعود إلى ما قبل الإسلام، وبعد عناء من البحث، وجدها عند عمر بن إبراهيم، من ولد أبرهة بن الصباح من سلالة حمير، وكان يسكن الكوفة، فكتب إليه يسأله أن يوجه إليه بالنسخة الأصلية، ليحييه، ويجدده[٨٠].

وحال وصول نسخة الْحِلْف إلى الْكَرْمَانِيّ جمع كبار القوم من اليمن وربيعه، وقرأ عليهم بنوده، فأجمعوا على أن ينصر بعضهم بعضًا، ويكون أمرهم واحدًا، فألتئم الجميع تحت قيادة الْكَرْمَانِيّ ليشن حربًا ضروسًا ضد المُضَرية بوجه خاص والدولة الأموية بوجه عام في خرسان، والتي استمرت عدة سنوات، لتنتهي بهزيمتهما والسيطرة على (مَرْو) عاصمة ولاية خرسان عام ١٢٨هـ/٧٤٦م، من يد الوالي نصر بن سيار الكناني[٨١].

وفي خضم تلك الانتصارات، ظهر خصمًا جديدًا للدولة الأموية يسعى لإزالتها، وهذا الخصم هم العباسيون، إذ كلف الإمام العباسي أبي مسلم الخرساني لنشر الدعوة في خرسان، موصيًا إياه باستغلال الصراع القائم في خرسان بين مُضَر من جهة وبين اليَمَن ورَبِيعَة من جهة أخرى قائلاً له: (انظر هذا الحي

من اليَمَن فألزمهم، وأسكن بين أظهرهم، فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم،... وَأَمَا مُضَر فَإِنَّهُمُ الْعَدُوُّ الْقَرِيبُ الدَّار)[٨٢].

استغل أبو مسلم ذلك الصراع، ليعلن دعمه للكرماني ويميل إليه، يقول اليعقوبي [٨٣]: (فمال أبو مسلم إلى الْكَرْمَانِيّ، فقال له: أدع إلى آل محمد ! وجعل يمايل أصحابه، ويدعوهم إلى ذلك... فنتج بذلك أمر مروان بن محمد الجعدي، وتعصبه لقومه من نزار على اليَمَن، وانحراف اليَمَن عنه إلى الدعوة العباسية، وتغلغل الأمر إلى انتقال الدولة عن بني أمية).

وعلى الرغم من قيام الدولة العباسية على أكتاف رجال اليمن ورَبِيعَة في خرسان؛ إلا أن حكامها كانوا يرون في استمرار تحالفهم خطرًا يتهدد دولتهم، وهذا ما يوحي إليه كلام الأزدي أن رَبِيعَة واليمن جددتا بنود الْحِلْف بينهما، فأنزعج لذلك الخليفة الْمَنْصُور، وغلظ على أحد قادته (ما جددت اليَمَن ورَبِيعَة الْحِلْف، فأراد فسخه)[٨٤].

وكان سبب انزعاج الخليفة الْمَنْصُور من تجديد الْحِلْف ناتج من توجسه الشديد تجاه أي خطر يتهدد دولته، مهما صغر شأنه، ولخطورة ذلك على مملكته باشر بنفسه إلى تفكيكه، مستخدمًا سياسة المكر والخداع سبيلاً لذلك، حينما قام بضرب اليمن بأحد قادة رَبِيعَة وفرسانها مَعْن بن زائدة، فقد بعثه على رأس جيش إلى اليمن قائلاً له: (قد وليتك اليَمَن فأبسط السيف فيهم حتى ينقض حلف رَبِيعَة واليَمَن)[٨٥]، فاستعد مَعْن لتنفيذ أمر الخليفة قائلاً له: (عليا أن أضرم بينهم النار)[٨٦].

ولم يكتف الخليفة بما قام به مَعْن من مقتلة فاحشة في حق اليَمَنيين حتى ينقض حلف رَبِيعَة واليمن، بل أراد إشعال نار الفتنة والثأر بين الحيين حتى لا تقوم للحلف قائمة بعد ذلك، وتحقيقًا لذلك استدعى والي البصرة عقبة بن سالم الهنائي الأزدي وعينه واليًا على اليمامة والبحرين قائلاً له: (قد علمت ما فعل بكم مَعْن، فإن وليتك اليمامة والبحرين تستشفي من رَبِيعَة، قال: كفيتك يا أمير المؤمنين، فولاه فخرج إليها، فأبادهم)[٨٧].

استعد عقبة بن سلم الهنائي استعدادًا كاملاً لتنفيذ توجيهات الخليفة حاملاً في مخيلته روح الانتقام والثأر من رَبِيعَة، لما فعل مَعْن بأهل اليَمَن، فارتكب مجازر في حق رَبِيعَة كادت تفني رجالها، حتى قال عقبة معاتبًا نفسه: (لو كان مَعْن على فرس جواد، وأنا على حمار أعرج لسبقته إلى النار)[٨٨]، كما أن الحسن بن قحطبة عاتب عقبة على أعمال القتل قائلاً له: (يا عقبة أدخلت نفسك النار، فقال: ما أنصفتني يا أبا الحسن، أدخلت نفسي النار لأنفي عنك العار)[٨٩]، ويقصد بذلك عار الثأر.

مما سبق يتبين أن التحالف بين اليمن ورَبِيعَة الذي عقد بينهما قبل الإسلام، كان له أهمية كبيرة في المؤازرة والإخاء والتناصر والتعاضد بين الحيين، وظل هذا التحالف بعد الإسلام ليمثل تكتلاً عسكريًا كبيرًا معارضًا لقرشية الخلافة وهيمنتها وتعصبها لـ(مُضَر)، وكلما أحس طرف من طرفي الْحِلْف بظلم في حقوقه تداعا الطرفين إلى تجديده وفقًا لبنوده الأصلية لانتزاع الحقوق، كما أن الْحِلْف لعب دورًا كبيرًا في نقل السلطة من الأمويين إلى العباسيين، ليصبح بعد ذلك قوة لها نفوذها ومكانتها في جسم الدولة العباسية، فخشي الخليفة الْمَنْصُور من استمرار هذا التحالف، كونه سيشكل خطرًا يتهدد زوال دولة بني العباس، كما كان سببًا في زوال الدولة الأموية.

ولدهاء الخليفة ومكره ضرب رَبِيعَة باليمن بتعيين أحد فرسانها مَعْن واليًا على اليمن، وأمره بوضع السيف في رقاب أهله، حتى ينقض حلف رَبِيعَة واليمن، كما أنه ضرب اليمن برَبِيعَة حينما عين أحد قادته عقبة بن سليم الهنائي الأزدي واليًا على ربيعه للانتقام والثأر منها جزاء ما اقترفه مَعْن بأهل اليمن، وبهذه السياسة تمكن الخليفة من إنهاء فوران اليمن ورَبِيعَة ضده مملكته، مع تفتيت التحالف التاريخي بإشعال نار الثأر والفتنة بينهما حتى لا تقوم له قائمة بعد ذلك، بدليل أن مصادر التاريخ لم تذكر بعد ذلك أن ربيعه واليمن -على حد علم الباحث- تناديا لتجديد الْحِلْف بينهما بعد تفتيته من قبل الخليفة الْمَنْصُور.

(٢/٢) ٦-إعلان أهل اليمن العصيان وطرد والي الخلافة العباسية

وهذا السبب أشار إليه اليعقوبي في أحداث سنة (١٤٢هـ/٧٦٠م)[٩٠]. ولمناقشته يجب التعريج على أوضاع اليَمَن السياسية قبيل تعيين مَعْن بن زائدة واليًا عليها، والتي كانت في مجملها مضطربة ومقلقة، نتيجة الحروب المدمرة التي شنتها الدولة الأموية عليها لإخماد حركة الخوارج الإباضية فيها، فنال أهله الجور والظلم والعسف والقتل، وكان اليَمَنيون عقب تحول الحكم من الأمويين إلى العباسيين يأملون أن تتحسن أوضاعهم برفع الظلم والجور عنهم؛ لكنهم نهجوا السياسة نفسها التي خطها الأمويون في جميع التعاملات الإدارية والمالية والسياسية، بل إنهم حولوا ولاية اليَمَن إلى منحة يهبون حكمها للمقربين لهم، أو مكافئة لمن أسدل معروفًا لهم[٩١].

ففي السنوات العشر الأولى من عهد الدولة العباسية، تناوب على ولاية اليمن، أخوال السفاح من بني الحارث بن كعب؛ فانحصرت مهمتهم على جباية الأموال، دون الاهتمام بحل المشاكل العالقة، إنما زادوها تعقيدًا، فمنهم من اتجه إلى

تدمير (الْقُلَّيْس) والاستحواذ على بها من ثروات ماليه هائلة[٩٢]، ومنهم فكر بحرق المرضى (المَجْذُومِين)، كونهم يشكلون عبئًا على الخزينة المالية للولاية، ومنهم من لم يمض على ولايته لليمن سوى أربعة أشهر، ثم يعزل نتيجة تصرفاته وكثرة الخروج عليه، بينما البعض منهم غرقوا في خلافات مع أهل صنعاء[٩٣].

كل ذلك خلق في أوساط المجتمع اليَمَني تذمرًا أتبعه عصيان وتمرد، لينفجر الوضع ضد الوالي عبد الله بن الربيع بن عبيد الله الحارثي، فهاجموا صنعاء، لينجوا بنفسه منها دون القدرة على مواجهتها لقوتها واتساعها، يقول اليعقوبي معبرًا عن ذلك: (أن عبد الله بن الربيع والي اليَمَن، قد هرب ممن وثب عليه وضعف)[٩٤].

لقد شكلت الأوضاع الخطيرة والمتردية في اليمن مع وقوع غالبية أراضيه في يد حركة الخوارج، قلقًا كبيرًا وإزعاجًا شديدًا لدى الخليفة الْمَنْصُور، ولهذا قطع حجه لذلك العام، وعاد إلى بغداد فورًا، لتدارس أمر اليَمَن، فقرر إرسال حملة عسكرية بقيادة مَعْن بن زائده، مستعيدًا بذلك ولاية اليمن إلى سلطة الدولة العباسية، ومن ثم صار واليًا عليها طيلة تسع سنوات[٩٥].

ثالثًا: نتائج حكم مَعْن بن زائدة لليمن

بعد أن تم مناقشة الأسباب التي دفعت الخليفة الْمَنْصُور إلى تعيين مَعْن بن زائدة واليًا على اليمن، وفقًا لما جاء في نصوص المؤرخين، يتضح أن الخليفة أراد تحقيق عدة أهداف سياسية وعسكرية من تعيينه له. وعلى الرغم من أن المعلومات التاريخية عن شجاعة مَعْن وكرمه وجوده وبطولاته ومدح الشعراء له ثرية في كتب التاريخ العام، وكتب التراجم والطبقات والأدب؛ لكنها في المقابل تتكتم عن أهم محطة من محطات حياة مَعْن، وهي التسع السنوات التي قضاها واليًا على اليَمَن، إذ لم يجد الباحث ذلك الثراء من المعلومات والنصوص التاريخية التي تعطي صورة واضحة عن إنجازاته في اليَمَن، سوى نتف من الكلمات المتناثرة في بطون الكتب وبين السطور، تأتي على شكل جمل وكلمات اعتراضية؛ أحيانًا تكون غير مفهومة الفكرة والمَعْنى والغرض.

ولكي يتمكن الباحث من إعطاء صورة تقريبية لنتائج حكم مَعْن لليمن، أرتأى وجوب لملمة تلك الكلمات والجمل من بطون الكتب، وجمعها مع النصوص التاريخية التي تم العثور عليها في كتب التاريخ اليَمَني، ومقابلتها وتحليلها وتفسيرها، مع مقارنتها بالأهداف التي أراد الخليفة الْمَنْصُور تحقيقها من وراء تعيين مَعْن واليًا على اليمن، والمتمثلة في إخضاع فوران أهل اليَمَن، وكسر إرادتهم، ونقض الْحِلْف التاريخي بين اليَمَن ورَبِيعَة، وهي في مجملها أعمال عسكرية وحربية، لهذا ستكون أهم أعمال مَعْن في اليَمَن أعمال حربية (معارك انتصارات هزائم قتل). ومن هذا المدخل الموجز سوف يقف الباحث على مُحصلة إنجازاته في اليَمَن، وهي على النحو الآتي:

١/٣-القضاء على حركة الخوارج في اليمن

على الرغم من هزيمة حركة الخوارج التي ظهرت في اليمن بقيادة عبد الله بن يحيى الكندي من قبل الدولة الأموية؛ إلا أن فكر الحركة ظل منتشرًا، يتجمع أتباعه وأنصاره في بعض المناطق التي لا تزال خارجة عن سلطة دولة الخلافة، كـ(الْمَعَافِر[٩٦] وحضرموت، وكِنْدَة)[٩٧]، تلك البلدان التي يشتهر رجالها بالشدة والبأس، وعدم الخضوع مهما كانت قوة الدولة الحاكمة، ولهذا صارت تأوي إليها كل معارض ومتضرر، فشكلوا بذلك تجمعًا قبليًا كبيرًا يستعد للخروج وإعلان العصيان في أي لحظة يتاح له ذلك.

ومما زاد الوضع فورانًا واضطرابًا في اليمن، أنه أصبح خارج سلطة الخلافة العباسية، خصوصًا بعد فرار واليها عبد الله بن الربيع الحارثي من صنعاء والسيطرة عليها، وهذا ما أقلق الخليفة الْمَنْصُور، ليقرر إرسال حملة عسكرية إلى اليَمَن، بقيادة مَعْن بن زائدة (١٤٢هـ/٧٦٠م)، لاستعادتها والقضاء على تحركات الخوارج فيه[٩٨]. وهنا تختلف روايات المؤرخين حال وصول مَعْن صنعاء، فالهمداني يذكر أنه فور وصوله (غزى الْمَعَافِر، وقتل صاحبها إسماعيل بن إبراهيم، وعاث فيها)[٩٩]، بينما ابن جرير الصنعاني يرى أن مَعْن عين ابن عمه سليمان عاملاً على الْمَعَافِر (فوثب أهل الْمَعَافِر على سليمان فقتلوه)[١٠٠]، في حين يذكر الجندي أن مَعْن (قدم صنعاء واليًا لمخلافها ومخلاف الجند، فبعث أخاه، وقيل ابن عمه، واليًا على الجند... فساءت سيرة خليفة مَعْن على أهل مخلاف الجند، بحيث... احتقرهم، وصار مولعًا بإذلالهم)[١٠١].

ونظرًا لأن مساحة البحث ليست كافية لمناقشة تلك الروايات؛ إلا أنها في المجمل تؤكد أن الْمَعَافِر ظلت متمردة عن سلطة الدولة العباسية، فأراد مَعْن إخضاعها حال نزوله صنعاء، فبعث بابن عمه سليمان على رأس جيش للإنهاء عصيانها، لتدور معركة بين الطرفين انتهت بهزيمته وقتله. وكان رد الفعل من قبل مَعْن قويًا، بدليل أنه قاد جيشًا كبيرًا، واجتاح بلدان الْمَعَافِر وقراها، وقتل قائدهم إبراهيم بن إسماعيل، ثم توجه لتدمير قرية (الزَّرِيْبَة) التي قتل فيها نائبه، يقول الجندي: (وهي على ذلك خراب إلى عصرنا، وقتل من أهل القرية نحو الألفين، وكان إذا خوطب بالكف عن القتل قال: لا أكف حتى أقتل ألفين ثم ينشد:

إذا تمت الألفان كادت حرارة ** على الصدر من ذكرى سليمان تبرد)[١٠٢].

وبذلك استعاد مَعْن بلاد الْمَعَافِر إلى سلطة الخلافة العباسية، بعد أن قتل قائدها، وألفين من أهلها، مع تدمير قرية الزَّرِيْبَة.

ونتيجة للمقتلة التي قام بها مَعْن بأهل الْمَعَافِر تنادت حضرموت لنصرتها، على اعتبار أن من يسكنها هم من أهلها، إذ توجهت بجحافلها نحو الْمَعَافِر، وحينما علم مَعْن بتحركها، ذهب نحوها لقتالها، فالتقى الجمعان في منطقة (الكثيب الأبيض قرب أبين)، ودارت معركة شديدة، (انتصف كلاً منهما من الآخر)[١٠٣]. ومن الملاحظ أن المصادر التي أشارت إلى تلك المعركة لم تحدد المنتصر؛ لكن الراجح أن حضرموت هي من انتصرت، بدليل أن مَعْنًا عاد بعد هذه المعركة إلى صنعاء للإعداد والتجهيز تمهيدًا لغزو حضرموت. من هنا تبدأ حروب مَعْن في (حَضْرَمُوت)، إذ دارت رحى معارك شديدة مع أهلها في عدة مناطق، يقول الحمزي: (وأوقع فيهم وقعات، قيل أن قتلاهم بلغت خمسة عشر ألف، فأعظم الناس ذلك وتحدثوا فيه)[١٠٤]، وهذه المقتلة الكبيرة تؤكد استخدام مَعْن الشدة والقسوة ضد أهلها، ومن ضمن القتلى ملكها عمرو بن عبد الله بن زيد الحضرمي غيلة[١٠٥].

وبتلك المذابح الفاحشة استعاد مَعْن سلطة الخلافة العباسية على حضرموت، بعد حوالي خمسة عشر عامًا من سيطرة الخوارج عليها. ومما يؤكد أهمية تلك الانتصارات، تبادل التهاني بين مَعْن والخليفة الْمَنْصُور، الذي استصوب ما قام به في القضاء على بقية الخوارج في تلك المناطق، وقد تمثل في رده بأبيات شعر الأعشى منها هذا البيت:

أولى وأولى كل فلست بظالم
وطئتهم وطء البعير المقيدِ[١٠٦]

كما قام الشعراء بنظم الشعر حول تلك الانتصارات التي حققها مَعْن في اليمن، فمروان بن أبي حفصه هب إلى اليمن بقصيدة من ثمانية وعشرين بيتًا ليهنئ بها مَعْن منها هذه الثلاثة الأبيات:

فما بلغت صنعاء حتى تواضعت
ذراها وزل الجهل عنها وأقلعا
لقد أصبحت في كل شرق ومغرب
بسيفك أعناق المريبين خضعا
وطئت خدود الحضرميين وطأة
لها هد ركنًا عزهم فتضعضعا[١٠٧]

٣/٢-كسر شوكة اليَمَنين

نوقش في السابق خلفية الصراع بين اليَمَن وقُرَيْش، فتبين أنه صراع بين إرادتين، الإرادة اليَمَنية التي اندمجت في المجتمع الإسلامي، والإرادة القرشية التي استأثرت بالحكم وتسلطت عليه، فصارت الإرادة اليمنية مهزومة تبحث عن وجودها ومجدها الغابر في الملك والسلطة[١٠٨] طوال أكثر من قرن، فانتصرت أخيرًا على قُرَيْش وأذلتها في معركة قُدَيْد عام (١٣٠هـ/٧٤٨م) على يد الجيش القادم من اليمن بقيادة عبد الله بن يحيى الكندي. وكانت تلك الهزيمة أول انتكاسة لقُرَيْش بين العرب على يد اليمانيين؛ كونها صاحبة الريادة والقيادة في دولة الخلافة دون منازع، وأن الناس تُبع لها، مما هيج ثائرتها ضد اليمانية، ومن هذا المنطلق سكب الخليفة العباسي الْمَنْصُور جام غضبه عليها حينما رفع شعار (يا لثارات قُدَيْد)، فبعث مَعْن بن زائدة أحد فرسان رَبِيعَة على رأس جيش إلى اليمن ليبسط السيف في رقاب أهله[١٠٩]. وحال وصول مَعْن إلى اليَمَن شن حرب إبادة جماعية في حق أهله (فقتل من بها قتلاً فاحشًا)[١١٠]، كما كان يأتي باليَمَنيين بشكل جماعي، قد يصل عددهم إلى ثلاث مئة شخص، فيأمر بقطع رؤوسهم جميعًا، ثم يدعو مَعْن (بأبناء اليمانية الذين حضروا قُدَيْدًا، فيضرب أعناقهم، وكلما ندر رأس عن رقبته قال: يا لثارات قُدَيْد)[١١١].

إن تلك الأعمال التي قام بها مَعْن في اليمن أعادت للأذهان سياسة الحجّاج بن يوسف الثقفي التي انتهجها في العراق في عهد الدولة الأموية، ولهذا لا غرابة أن يطلق على مَعْن حجاج بني العباس في عصره؛ ولكن ليس في العراق، إنما كان في اليَمَن، كون تلك الأعمال كانت تلقى تشجيعًا من قبل الخليفة الْمَنْصُور حتى وصفه البعض بأنه ظالم جائر، حينما عين مَعْن واليًا على اليمن يقتلهم، ويأخذ أموالهم، ويبلغه ذلك، فلا يغير شيء[١١٢]. مجمل القول إن من أحد نتائج حكم مَعْن لليمن كسر شوكة أهلها وإذلالهم، وقهرهم وإخضاعهم، تنفيذًا لرغبة الخليفة الْمَنْصُور حتى لا تقوم لهم قائمة بعد ذلك سواءً داخل اليمن أو خارجه.

٣/٣-نقض الْحِلْف بين رَبِيعَة واليَمَن

تناول الباحث بشيء من التفصيل الْحِلْف بين اليَمَن ورَبِيعَة، وهنا سيعرض أدوات تنفيذ نقضه من قبل الخليفة الْمَنْصُور، إذ نجده يضرب اليمنيين بأحد فرسان رَبِيعَة مَعْن بن زائدة الذي أبدي استعداده الكامل بأن يضرم النار بين اليَمَن ورَبِيعَة، يقول المسعودي[١١٣]: (ثم ما تلا ذلك من قصة مَعْن بن زائدة باليَمَن، وقتله أهلها تعصبًا لقومه من رَبِيعَة وغيرها من نزار، وقطعه

الْحِلْف الذي كان بين اليَمَن ورَبِيعَة في القدم). وكان لأعمال القتل الذي قام بها مَعْن في اليَمَن الشرارة الأولى لنقض الْحِلْف؛ فتلك المجازر أشعلت نار الثأر والانتقام في نفوس اليَمَنيين من رَبِيعَة، فضلاً عن إذكاء الخليفة الْمَنْصُور روح الثأر بين الحليفين، كلما دعت الحاجة لإخماد هذا الطرف أو ذاك، بدليل أن رَبِيعَة حينما أعلنت العصيان عليه ضربها باليمنيين، وتحت داعي الثأر ومحو العار خرج اليمنيين إليها فأبادوا أهلها[١١٤].

وبهذا فإن من أحد نتائج حكم مَعْن لليمن نقض الْحِلْف التاريخي بين اليمن وربيعه، إذ صار الثأر والانتقام بينهما هو السائد، بدليل عدم العثور على بعض الإشارات في كتب التاريخ، توحي بتجديد الْحِلْف بينهما بعد هذه الأحداث، ليحقق بذلك الخليفة الْمَنْصُور مراده في القضاء على ذلك الْحِلْف الذي باستمراره سيشكل خطرًا على دولته.

٣/٤-دخول مَعْن في صراع مع بعض قادة اليَمَن

انتهج مَعْن في اليَمَن سياسة القتل، والإذلال، والغدر بقادتها، منتقصا من مكانتهم وقدرهم، وهذا ما ألب عليه بعض قادة اليَمَن، ودفعهم للتصدي لأفعاله تلك؛ لينفتح بابًا من الصراع الدموي استمر حتى مغادرته لليَمَن.

ومن أعمال مَعْن في اليَمَن قيامه بقتل سيد بني غالب بن سعد بن خولان، وشاعرها وفارسها عمر بن زيد بن غالب بن سعد بن سعد بن الغالبي الخولاني، وهذا ما أثار حفيظة أحد قادة اليمن في عصره محمد بن أبان بن ميمون بن حريز بن حجر بن زرعة الخنفري، فأعلن الحرب ضد مَعْن طلبًا للثأر منه، لتدور بينهما معارك عدة في بلاد صعدة، منها معركة (يوم المنضج)، واستمرت الحرب بين الطرفين عدة سنوات، لم يتمكن مَعْن من هزيمته أو النيل منه[١١٥].

ونتيجة لاستمرار الصراع الحربي بين مَعْن وبعض قادة اليمن، توسعت الفتن واشتعلت، فطلب الخليفة من مَعْن مغادرة اليَمَن سنة (١٥١هـ/٧٦٨م)[١١٦].

٣/٥-الجور والظلم والعسف

ومن نتائج حكم مَعْن لليمن ظلمه وجوره وعسفه للرعية، من ذلك أنه دمر قرية (الزَّرِيْبَة) من مخلاف الْمَعَافِر، لتصبح خرابة لا يسكنها أحد، كما (غور مياه كانت بقاع الجند... ومنها أنه ألزم الناس لبس الثياب المصبغة بالنيل، وترك شعورهم منشورة، فصار ذلك لهم عادة)[١١٧]. ومن ألوان الجور والعسف التي فرضها مَعْن على أهل اليَمَن إجبارهم على دفع أموال باهظة على زروعهم وثمارهم، مثال على ذلك: أنه وفي أثناء سيره إلى حضرموت مر بأراض زراعية، (فعظم في عينه ما رأى من خزائن الزبيب بها، فقال لنائبه: لا تقبل منهم دون عشرة ألف ذهب، زبيب فلم يزالوا به حتى حط لهم ألفًا)[١١٨]. ونتيجة لجود مَعْن وكرمه كان يتوافد عليه الناس إلى اليمن (من أقطار الأرض)[١١٩]، فيعطيهم عطايا لَمْ يعط مثله أحد، والأمثلة كثيرة على تبديده للأموال لا يتسع المكان لسردها[١٢٠]، كل هذا الإنفاق قابله الشدة في طلب المال من أهل اليمن، فألحق بهم أشد أنواع الجور والظلم، بدليل غضب الخليفة عليه من كثرة تبذيره للأموال، وكاد أن يعاقبه[١٢١].

٣/٦-إفناء رجال مَعْن في حرب اليَمَن

وصل مَعْن إلى اليمن بأعداد كبيرة من فرسان رَبِيعَة ورجالها، فاستخدمهم في حروبه التي خاضها مع أهل اليمن وأعيانها، فقتل منهم أعدادًا كثيرة منذ نزل أرضها حتى غادرها، بدليل اعترافه بذلك حينما غضب عليه الخليفة الْمَنْصُور قائلاً: (قد أفنيت عمرى في طاعته، وأتعبت نفسي، وأفنيت رجالى في حرب اليَمَن ثم يسخط علي)[١٢٢].

٣/٧-الثأر من مَعْن بن زائدة

كان الثأر من الثقافة السائدة في المجتمع اليَمَني بشكل خاص، والمجتمع العربي بشكل عام، بل يُعد الثأر واحدًا من الأعراف القبلية، وقيمة من قيمها لمحو العار، ولا يتم ذلك إلى من خلال وجوب أخذ الثأر من القاتل، والبحث عنه لقتله مهما طال من الزمان؛ لأن (الدم لا يغسل إلا بالدم)[١٢٣]. ومن نتائج حكم مَعْن لليمن انبعاث باب الثأر بينه وبين أهله، من ذلك أنه أقدم على قتل ملك حضرموت عمرو بن عبد الله بن زيد الحضرمي غدرًا بعد أن أعطاه عهدًا وميثاقًا عام (١٤٢هـ/٧٦٠م)[١٢٤]، والغدر في عرف القبيلة يعد عارًا، وجب محوه بأخذ الثأر من قاتله، مهما طال الزمان، وتباعدت الأوطان، ومهما كلف من جهد ومشقة ومال وعناء.

وكان لملك حضرموت حال مقتله ولدان صغيران لم يبلغا الحلم، فلما أدركا حقيقة قتل والدهما غدرًا، اعتبرا ذلك انتهاكًا لشرف القبلية، وعارًا عليهما سيلاحقهما، إذا لم يأخذا بثأر أبيهما من قاتله مَعْن، الذي غادر اليَمَن إلى العراق عام (١٥٠هـ/٧٦٧م) بطلب من الخليفة فولاه سِجِسْتَان[١٢٥]. ولهذا أخذ محمد بن عمرو الحضرمي يعد نفسه للرحيل، فجهز نفقة كبيرة له ولأخيه الصغير تكفيهما لسنوات، ورحلا من حضرموت إلى مكة لأداء فريضة الحج، فأخذا يسألان حجاج العراق عن مكان إقامة مَعْن، فقيل لهما: أن الخليفة ولاه (بُسْت)[١٢٦].

لم يكن أمام محمد وأخيه إلا مواصلة رحلتهما إلى مدينة (بُسْت)، وأقاما عند رجل من اليَمَنيين سنة كاملة، يترصدان تحركات مَعْن لأخذ الثأر منه، فأتتهما الفرصة عندما أمر مَعْن ببناء دار له، فانضم محمد وأخوه إلى عمال البناء، فأقاما قريب سنة لا يجدون الفرصة المناسبة للظفر به، (فلما قرب كمال بناء الدار خرج إليهم مَعْن لينظرها، ومحمد وأخوه يختلفان مع الأجراء بالأجر والطين، ومحمد يرصد مَعْنًا، ثم إن مَعْنًا دخل بعض دهاليز تلك الدار ليقضي حاجته، وكان قد احتجم ذلك اليوم، فتبعه محمد، فوجده مكبًا على حاجته، فقط بطن مَعْن بسكين مسمومة كانت معه)[١٢٧].

وبعد أن تمكن محمد من قتل مَعْن أشار لأخيه الأصغر، وخرجا متخفيان من باب خلفي، ولمعرفتهما أنه سيتم ملاحقتهما، تواريا داخل المدينة في بيت أحد اليَمَنيين الثقات مدة، حتى خف الطلب عليهما، فخرجا إلى الشام، ومنها إلى مصر[١٢٨]، ومن ثم إلى عدن، فاستقبلهما كبار أهل اليمن مهنئين لهما بالظفر والنصر، ومتوجين محمدًا بن عمر بتاج النصر لطلبه الثأر، (وضربت به العرب المثل، كما ضربت بقصير)[١٢٩]. وقد لقيت واقعة الثأر من مَعْن صدى واسعًا في المجتمع اليمني بوجه خاص، والإسلامي بوجه عام، بدليل تلك القصائد الشعرية التي قيلت في ذلك[١٣٠].

نتائج الدراسة

- بعد أن تسلم الخليفة الْمَنْصُور دولة الخلافة القرشية عمل على تثبيت أركان مملكته بشتى الطرق والوسائل المشروعة وغير والمشروعة، ولتحقيق ذلك كان يختار ولاته وقادته بعناية متناهية، فينتقي الأشخاص انتقاءً، وبما يجعلهم أمر طوعه، يضرب بهم أعداؤه ومنافسيه وخصومه، فمن ولاته الذين وهبوا أنفسهم لخدمته وصاروا طوع أمره (مَعْن بن زائدة) الذي عينه واليًا على اليمن.
- تبين من خلال البحث أن الدوافع الحقيقية للخليفة الْمَنْصُور من وراء تعيين معن بن زائدة واليًا على اليمن هي دوافع (سياسية وعسكرية) أهمها: إخضاع فوران أهل اليمن الذين كثر تمردهم وعصيانهم على دولة الخلافة القرشية أينما حلوا سواءً داخل اليمن، أو في الأمصار الإسلامية المختلفة التي سكنوها، وذلك بهدف ضمان عدم خروج الخلافة من يد العباسيين بشكل خاص وقريش الخلافة بشكل عام، لاسيما بعد أن انتصرت الإرادة اليمنية على الإرادة القرشية في معركة (قُدَيْد)، وما تلي ذلك من دورها الأساسي في إزالة الدولة الأموية.
- كما بين البحث أن والي اليمن (معن بن زائدة) سعى منذُ أن نزل أرض اليمن إلى تنفيذ أوامر الخليفة الْمَنْصُور وتحقيق أهدافه، فدحر حركة الخوارج في (المعافر وحضرموت)، كما قضى على فوران أهل اليمن، ليستعيد بذلك سلطة الدولة العباسية على جميع أراضيه، كما كسر شوكة أهل اليمن وأذلالهم، نتيجة الشدة والقسوة التي انتهجها، من قتل، وقهر، وعسف، وجور، وظلم، لينقض بتلك الأعمال الْحِلْف التاريخي بين اليمن وقبيلته ربيعه –المنتمي أليها معن-، كون استمراره سيشكل خطرًا على دولة بني العباس، وبالتالي صار الثأر والانتقام بين اليمن وربيعة هو السائد بعد ذلك، بدليل أن معن بن زائدة قتل على أيدي يمنية ثأرًا منه لقتل بعض قادتها.

الاحالات المرجعية:

(١) للمزيد عن الْمَنْصُور يُنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، **أنساب الأشراف**، حققه وقدمه له: سهيل زكار، ورياض زركلي، ط/١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ٤/١٨٣-٢٠٠. البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب (ت٤٦٣هـ/١٠٧١م)، **تاريخ بغداد وذيوله**، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطاء، ط/١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٠/٥٦-٦٢.

(٢) هو: عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، عم الخليفة الْمَنْصُور، أحد دهاة الرجال، وكان من الشجعان الأبطال، أنتدب لحرب آخر خلفاء بني أمية وهزمه، ثم نافس الخليفة الْمَنْصُور على الخلافة في الشَّام، فجهز له الخليفة أبو مسلم الخراساني، فدارت حرب كبيرة انتهت بهزيمة عبد الله، وسجنه حتى توفي سنة١٤٧هـ/٧٦٥م، ترجمته لدى: ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، (ت٥٧١هـ/١١٧٦م)، **تاريخ دمشق**، تحقق: عمرو بن غرامة، طبعة عام ١٤١٥هـ/١٩٩٥، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان، ٣١/٥٥-٦٨.

(٣) هو عبد الرحمن أبو مسلم الخرساني، صاحب الدعوة العباسية، والقائم بإنشاء الدولة العباسية، يقال: أنه كان سفاكًا للدماء، قتل على يد الخليفة الْمَنْصُور سنة ١٣٧هـ/٧٥٥م، ترجمته لدى: البغدادي، **تاريخ بغداد**، ١٠/٢٠٥-٢٠٩، ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، **وفيان الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، إعداد داود القاضي، وعز الدين أحمد موسى، طبعة عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م. دار صادر، بيروت، ٣/١٤٥-١٥٤، الذهبي، محمَّد بن أحمد بن عثْمَّان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، **سِيَر أعْلام النُبَلاء**، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة، ط/١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ٦/٤٨-٧٢.

(٤) محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طلب الملقب بـ(النفس الزكية)، أعلن خروجه عن الخليفة الْمَنْصُور، واجتمع حوله عدد كبير، فوجه لقتاله في المدينة عيسى بن موسى، ولم يزال يقاتل حتى قتل عام ١٤٥هـ/٧٦٣م، للمزيد عنه يُنظر: البلاذري، **أنساب الأشراف**، ٣/٩٤-١٢١.

(٥) **الخوارج**: حزب سياسي خرج في صدر الإسلام، أثناء زحمة الصراع على الخلافة، إذ رفضوا مبدأ الإمامة في قُرَيْش، وجعلوها شورى بين المسلمين، للمزيد عن الخوارج وفرقها وأقولها يُنظر: الحميري، أبو سعيد نشوان (ت٥٧٣هـ/١١٧٨م)، **الحور العين**، تحقيق كمال مصطفى، ط/٢، ١٩٨٥م، دار أزال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص ٢٠٤، ٢٢٧-٢٣٢،٢٥٤-٢٥٧، ٢٦٦.

(٦) للمزيد عن تلك السياسة التي انتهجها الخليفة الْمَنْصُور في القضاء على تلك المخاطر يُنظر: البلاذري، **أنساب الأشراف**، ٣/٧٦وما بعدها، ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، ط/١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، ٥/١٠٤-١١٢، ١٤٤،١٥٦، ١٤٧،١٢٧.

(٧) ترجم له: البلاذري، **أنساب الأشراف**، ٤/٢٣٥-٢٣٨، البغدادي، **تاريخ بغداد**، ١٣/٢٣٦-٢٤٥، ابن خلكان، وفيات، ٨/٢٤٤-٢٥٤، الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ/٩٧٦م)، **كتاب الأغاني**، مؤسسة حسان للطباعة والنشر، بيروت (د، ت، ط)، ١٠/٧٥-٨٣.

(٨) ابن خلكان، **وفيات**، ٨/٢٤٥.

(٩) **الهاشمية** مدينة شيدها أبي عبد الله السفاح بالكوفة، واتخذها مقرا لحكمه، وحينما تولى الخلافة الْمَنْصُور سكنها، فهاجمته مجموعة من الخرسانية، وحاصرت قصره، وكادت أن تقتله؛ لكنه تمكن من هزيمتهم، وسميت تلك الواقعة بيوم الهاشمية، الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) **معجم البلدان**، ط/٢، ١٩٩٥م، دار صادر، بيروت، ٥/٣٨٩.

(١٠) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/٢، (د. ت. ط)، دار المعارف، مصر، ٧/٥٠٤-٥٠٨، ابن خلكان، وفيات، ٨/٢٣٩، ابن الأثير، **الكامل**، ٥/١٢٩-١٣٠.

(١١) البغدادي، **تاريخ بغداد**، ١٣/٢٣٦وما بعدها، ابن خلكان، **وفيات**، ٨/٢٥١، الحميري، نشوان بن سعيد (ت٥٧٣هـ/١١٧٨م)، **ملوك حمير وأقيال اليمن**، و(شرحها خلاصة السير الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة)، تحقيق: علي بن إسماعيل المؤيد، وإسماعيل بن أحمد الجرافي، ط/١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، مكتبة الإرشاد، صنعاء، اليمن، المقريزي: تقي الدين (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) **كتاب المقفى الكبير**، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي (د، ت، ط)، ٦/٤٤٩.

(١٢) **تاريخ الرسل**، ٧/٥٠٨.

(١٣) هو: الرَّبيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة كان حاجب الخليفة الْمَنْصُور، ثم وزر له، وكان كثير الميل إليه حسن الاعتماد عليه، توفي سنة ١٦٩هـ/٧٨٦م، ترجمته لدى: ابن حلكان، **وفيات**، ٢/٢٩٤-٢٩٩.

(١٤) الكراع اسم يجمع الخيل والبغال والدواب والسلاح.

(١٥) **تاريخ الرسل**، ٧/٥٠٨، ويُنظر، ابن الأثير، **الكامل**، ٥/١٢٩، الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ٧/٧٧.

(١٦) الزبير بن بكار (ت٢٥٦هـ/٨٧٠م)، **الأخبار الموفقيات**، تحقيق: الدكتور سامي مكي العاني، ط/٢، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، عالم الكتب، بيروت. لبنان. ص١٨-١٩.

(١٧) هذه الرواية موجودة لدى الطبري، تاريخ الرسل، ٦/٣١٥.

(١٨) الأزدي: أبو زكريا يزيد بن محمد بن أياس (ت ٣٣٤هـ/٩٤٦م)، **تاريخ الموصل**، تحقيق: أحمد عبد الله محمود، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت. ط)، ٢/٣٧٥. وهذه الرواية موجودة لدى: الآبي، منصور بن الحسين الرازي، (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م)، **نثر الدرر في المحاضرات**، تحقيق، خالد عبد الغني محفوظ، ط/١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، دار الكتب العلمية، بيروت، ٣/٦٠.

(١٩) هو السري بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب يلتقي نسبه مع الخليفة الْمَنْصُور عند العباس بن عبد المطلب، كان من أحد قادة الخليفة وولاته، تولى المدينة واليمامة والطائف ومكة، وكان يكلفه الخليفة بالحج بالناس.

(٢٠) حج الخليفة الْمَنْصُور سنة ١٤٧هـ/٧٦٥م، وكان لا يزال مَعْن واليًا على اليَمَن، ولعلها تلك الحجة التي التقى فيها باليَمَنيين وشكوا مَعْن، وكان السري الراوي للنص مصاحبًا له في هذه الحجة، ابن الأثير، **الكامل**، ٥/١٨٤.

(٢١) أشار إلى هذه الرواية، الحمزي: عماد الدين إدريس بن علي بن عبد الله (ت ٧١٤هـ/١٣١٤م) **تاريخ اليَمَن من كتاب كنز الأخبار في معرفة السير والأخبار**، تحقيق الدكتور: عبد المحسن مدعج المدعج، ط/١، ١٩٩٢، مؤسسة الشراع العربي الكويت، ص٣٧.

(٢٢) **الأغاني**، ١٠/٨٤-٨٦.

(٢٣) اليعقوبي: أحمد بن أسحاق بن جعفر (ت٢٩٢هـ/٩٠٥م)، **تاريخ اليعقوبي**، علق عليه ووضع هوامشه خليل المَنْصُور، ط/١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٦٠/١.

(٢٤) بنو الحارث بطن من مذحج القحطانية، وهم بنو الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد، ومالك هو مذحج، ومنهم بني الديان أخوال أبي العباس السفاح، وكان لهم الرئاسة بنجران اليَمَن، ابن حزم، أبو محمد علي بن سعيد بن أحمد الأندلسي (ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م)، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، ط/٥، (د، ت، ط) دار المعارف، القاهرة، ٤١٥/١-٤١٦.

(٢٥) عن الولاة يُنظر: الطبري، إسحاق بن يحيى بن جرير الطبري الصنعاني (المتوفي نحو سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) **تاريخ صنعاء**، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، مكتبة السنحاني، صنعاء(د، ت، ط)، ص٣٩-١٤٠، الحمزي، تاريخ اليَمَن، ٣٥-٣٧،

(٢٦) الطبري، **تاريخ الرسل**،٥٠٨/٧.

(٢٧) الحمزي، **تاريخ اليَمَن**، ص٣٥، خليفة بن خياط (ت٢٤٠هـ/٨٥٥م)، **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط/٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، طيبة للطباعة والنشر، الرياض، الأزدي، **تاريخ الموصل**، ٣٧٥/٢، تاريخ اليعقوبي، ٢٦٠/١، ابن عبد المجيد، عبد الباقي (ت٧٤٣هـ/١٣٤٢م)، تاريخ ليمن المسمى (بَهْجَة الزَّمن في تَأريخ اليمن)، تحقيق: مصطفى حجازي، ط/٢، ١٩٨٥، دار الكلمة، صنعاء، ص٢٣-٢٥.

(٢٨) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ٧٧/١٣.

(٢٩) الزبير بن بكار، **أخبار الموفقيات**، ص١٨-١٩.

(٣٠) الذهبي، **سير أعلام**، ٧٧/٧-٧٨.

(٣١) الزبير بن بكار، **الأخبار الموفقيات**، ص١٩.

(٣٢) الاصفهاني، **الأغاني**، ٨٦/١٠.

(٣٣) المصدر نفسه والصفحة.

(٣٤) المصدر نفسه والصفحة.

(٣٥) الزبير بن بكار، **الأخبار الموفقيات**، ص١٩.

(٣٦) المصدر نفسه، ص١٨.

(٣٧) ابن عبد المجيد، **تاريخ اليمن**، ص٢٤.

(٣٨) ابن الأثير، **الكامل**، ٢٢٠/٥-٢٢١.

(٣٩) عن أنساب العرب يُنظر: ابن حزم، **جمهرة**، ٨/١ وما بعدها. ٣٩٩/٢.

(٤٠) عن إسلام أهل اليَمَن يُنظر: الشجاع، عبد الرحمَّن عبد الواحد (الدكتور)، **اليَمَن في صدر الإسلام**، ط/١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، دار الفكر المعاصر، بيروت. ص١١٩-٢٣٥.

(٤١) عن إسلام ملوك كندة يُنظر: الشجاع، **اليَمَن في صدر الإسلام**، ص ١٣٥، ١٧٧،١٧٢.

(٤٢) الجابري: محمد عابد، **نقد العقل السياسي العربي**، ط/١، فبراير١٩٩٠، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص ١٣٠-١٣٥.

(٤٣) المرجع نفسه، ص١٥٢،١٣٠٠،١٥٢وما بعدها، وعن حركة الردة والحملات العسكرية التي وجهت إلى اليَمَن يُنظر، الشجاع، اليَمَن في صدر الإسلام، ص٢٧٧-٢٨٦.

(٤٤) عن عبد الله بن سبأ يُنظر: ابن الأثير، **الكامل**، ١٠/٣، ٣٦،٣٨،١٢٥، الجابري، **نقد العقل السياسي العربي**، ص٢٠٢-٢١٦.

(٤٥) ناقش ذلك باستفاضة، الجابري، **نقد العقل السياسي العربي**، ص ١٣٥-١٣٦، ٢١٤.

(٤٦) قبيلة كَلْب تنسب إلى حمير بن سبأ ين يشجب بن يعرب بن قحطان، سكنت الشام قبل الإسلام، وحينما فتحت بلاد الشام اعتنقت الدين الإسلامي، إذ دخلوا في علاقات مصاهرة مع معاوية بن أبي سفيان، فتزوج بميسون بنت بَحْدل، وصارت هذه القبيلة من أشد القبائل وقوفًا مع الأمويين، البلاذري، **أنساب الأشراف**، ١٤٩/٥-١٥٠، جواد علي (الدكتور)، **المفصل في تاريخ العرب**، ط/٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م دار الساقي، ١٤٦/٢.

(٤٧) تُعد معركة مرج راهط من المعارك الكبرى التي وقعت بين جذمي العرب القحطانية والعدنانية، للمزيد يُنظر: البلاذري، **أنساب الأشراف**، ٢٦٢/٦-٢٨٣، ابن الأثير، الكامل، ٤٨٠/٣-٤٨٣.

(٤٨) جواد علي، **المفصل**، ١٥٣/٢-١٥٤، ٢٨٧/١٦.

(٤٩) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٦م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق: الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم، بيروت، (د، ت، ط)، ٢٦٦/١ وما بعد، وللمزيد عن ذلك الصراع يُنظر، جواد علي، **المفصل**، ١٤٤/٢-١٥٧.

(٥٠) الجابري، **نقد العقل السياسي العربي**، ص٢٣٩، الراسبي نسبة إلى بني راسب بن ميدعان، وهم حي من أحياء قبيلة الأزد اليَمَنية، قتل في معركة النهروان سنة٣٨هـ/٦٥٩م، ابن حزم، **جمهرة**، ٣٨٦/٢.

(٥١) البردوني، **عبد الله، اليَمَن الجمهوري**، ط/٦، دار الأندلس للطباعة والنشر، ص١٨.

(٥٢) الأصفهاني، **الأغاني**، ٢٢٩/٢٣، الحمزي، **تاريخ اليَمَن**، ص٣٢.

(٥٣) هو من أعلام تابعي التابعين عند الإباضية، ولد بقرية مجز من عُمَان، وانتقل إلى البصرة، وتزود بفكر الخوارج فيها، ثم انظم إلى حركة عبد الله بن يحيى الكندي في حضرموت، وكلفه على رأس جيش للاستيلاء على الحجاز، قتل سنة ١٣٠هـ/٧٤٨م.

(٥٤) عن حركة عبد الله بن يحيى الكندي ومعركة قُدَيْد يُنظر: **تاريخ خليفة**، ص٣٧٤ وما بعد، الأصفهاني، **الأغاني**، ٢٢٤/٢٣-٢٧٠، ابن الأثير، **الكامل**، ٣٩/٥-٥١.

(٥٥) بنو زُرَيْقْ بطن من الخزرج القحطانية، وهم بنو زُرَيْقْ بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج، ابن حزم، **جمهرة** ، ٣٥٧/٢-٣٥٨.

(٥٦) الأصفهاني، **الأغاني**، ٢٤١/٢٣. وقد ورد هذا النص بشيء من الزيادة والنقصان لدى، البلاذري، **أنساب الأشراف**، ٢٩٦/٩.

(٥٧) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ٢٩٦/٩.

(٥٨) **الأغاني**، ٢٤٤/٢٣.

(٥٩) المسعودي، **مروج الذهب**، ٤٤٨/١.

(٦٠) تفاصيل المعارك التي حدثت لدى، الأصفهاني، **الأغاني**، ٢٦٣/٢٣-٢٦٩.

(٦١) **الأغاني**، ٢٦٩/٢٣-٢٧٠.

(٦٢) هو ثابت بن نعيم بن زرعة بن روح بن زنباع بن روح بن سلامة بن حداد بن حديدة الجذامي اليَمَني، كان فارسًا وقائدًا يمنيًا شجاعًا، وهو رأس اليمن في بلاد الشام، تولى عدة أعمال في بلاد الشام منها والي فلسطين، ترجمته لدى: ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ١٤٣/١١-١٤٤.

(٦٣) ومما أثار حماس اليمانية في الشام تلك القصيدة التي قالها عطية بن الأسود الكلبي، تتكون من عدة أبيات منها هذا البيت: (يا ثابت بن نعيم دعوة جزعًا .. عقت أباها وعقت أمها اليَمَن)،

والأبيات كاملة لدى: ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ١١/١٤٣-١٤٤، ٤٠/٤٦٠-٤٦١.

(٦٤) **تاريخ اليعقوبي**، ١/٢٦٠، الآبي، **نثر الدرر**، ٣/٦٠، ٤/٧٧.

(٦٥) الأزدي، **تاريخ الموصل**، ٢/٣٧٥.

(٦٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٦٧) الأزدي، **تاريخ الموصل**، ٢/٣٧٥، الآبي، **نثر الدرر**، ٣/٦٠.

(٦٨) **تاريخ اليعقوبي**، ١/٢٧١.

(٦٩) الأزدي، **تاريخ الموصل**، ١/٣٧٥.

(٧٠) **تاريخ اليعقوبي**،١/٢٧١.

(٧١) الزبيدي، **تاج العروس**، ٢٣/١٥٨-١٦٢.

(٧٢) وعن الأحلاف، يُنظر، جواد علي، **المفصل**، ٧/٣٧٠-٣٨٧.

(٧٣) الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت٢٨٢هـ/٨٩٥م)، **الأخبار الطوال**، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربي، ط١/، ١٩٦٠م، ص٤٦.

(٧٤) المصدر نفسه، ص٣٥٣-٣٥٤.

(٧٥) الجابري، **نقد العقل السياسي العربي**، ص١٦٠.

(٧٦) **تاريخ دمشق**، ٣٧/٤٥٦-٤٥٧.

(٧٧) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ٥/٤١٦-٤١٧.

(٧٨) هو شيخ خرسان وفارسها في عصره، وأحد الدهاة والرؤساء ولد بكَرْمان. وإليها نسبته، وأقام فيها حتى قتل على يد نصر بن سيار غيلة، البلاذري، **أنساب الأشراف**، ٩/١١٩، ٢٨١، الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص٣٤٠-٣٥٤،

(٧٩) الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص٣٥١.

(٨٠) ذكر الدينوري بنود الْحِلْف، **الأخبار الطوال**، ص٣٥٤،٣٥٢.

(٨١) المصدر نفسه، ص ٣٥٤-٣٥٧، وللمزيد يُنظر: **تاريخ اليعقوبي**،١/٢٤٤، ابن الأثير، **الكامل**، ٤/٤٩٤-٤٩٧، ٥/١٧-٢١.

(٨٢) ابن الأثير، **الكامل**، ٥/٢١.

(٨٣) **تاريخ اليعقوبي**،١/٢٣٧. وللمزيد عن دور أهل اليمن ورَبِيعَة في خرسان في قيام الدولة العباسية يُنظر: الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص٣٥٠-٣٦٣.

(٨٤) **تاريخ الموصل**، ٢/٣٧٥.

(٨٥) الأصفهاني، **الأغاني**، ١٠/٨٦.

(٨٦) الأزدي، **تاريخ الموصل**، ٢/٣٧٥.

(٨٧) **تاريخ الموصل**، ٢/٣٧٥.

(٨٨) **تاريخ اليعقوبي**، ١/٢٦٩.

(٨٩) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٩٠) المصدر نفسه، ١/٢٦٠.

(٩١) للمزيد عن أوضاع اليمن قبل تعيين معن واليًا على اليمن يُنظر: إيمان أحمد شمسان، **اليمن في العصر العباسي الأول**، (١٣٢-٢٠٢هـ/٧٥٠-٨١٨م)، ط١/، ٢٠٠١م، دار الثقافة العربية للنشر، الشارقة، ص١٠٨-١٣٠.

(٩٢) القليس كنيسة في صنعاء إلى جانب قصر غمدان، بنهاها أبرهة بن الصباح الحبشي، وجعل الناس يحجون إليها، جواد علي، المفصل، ٦/١٩٠-١٩٣، إيمان شمسان، **اليمن في العصر العباسي**، ص١٠٩-١١١.

(٩٣) من الولاة الذين تولوا اليَمَن من بني عبد المدان الحارثي: زياد بن عبيد الله الحارثي، ومحمد بن زياد بن عبد الله الحارثي، وعبد الله بن مالك الحارثي، وعلي بن الربيع بن عبيد الله الحارثي، والربيع بن عبد الله بن الربيع الحائي، وعبد الله بن الربيع بن عبيد الله الحارثي. ابن جرير الصنعاني، **تاريخ صنعاء**، ص٤٠-٤١، الحمزي، **تاريخ اليَمَن**، ص٣٥-٣٧، إيمان شمسان، **اليمن في العصر العباسي**، ص١٩٧-١٩٨.

(٩٤) تاريخ اليعقوبي، ١/٢٦٠.

(٩٥) المصدر نفسه، ١/٢٦٩،٢٦٠.

(٩٦) مخلاف واسع في اليمن، يُنسب، إلى الْمَعَافِر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، وهم أهل جدّ ونجدة، إذ سكنها بطون من كندة هما: السَّكَاسِك، وَالسُّكُون ابني أشرس بن كنده، وهي المنطقة المعروفة حاليًا (الحُجَرِيَّة) جنوب مدينة تعز، ابن حزم، جمهرة،١/٤١٨-٤١٩،٤٢٩-٤٣٢، المقحفي، إبراهيم أحمد، **معجم البلدان** والقبائل اليمنية، طبعة عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، دار الكلمة للطباعة والنشر، صنعاء، **اليمن**، ٢/١٥٦٨-١٥٦٩.

(٩٧) حضرموت إقليم واسع شرق اليَمَن ذات السكن القبلي الكبير لقبائل حضرموت وقبائل كندة منهم بنو الأشرس وبنو معاوية، ابن حزم، **جمهرة**، ١/٤٢٩-٤٣٢، المقحفي، **معجم البلدان**، ١/٤٧٦-٤٧٨.

(٩٨) **تاريخ اليعقوبي**، ١/٢٦٠، ابن عبد المجيد، **بهجة الزمن**، ص٢٤.

(٩٩) المقريزي: **كتاب المقفى الكبير**، ٦/٤٤٩.

(١٠٠) **تاريخ صنعاء**، ص٤٢.

(١٠١) الجندي، أبو عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف (ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م)، **السلوك في طبقات العلماء والملوك**، تحقيق محمد بن علي الأكوع، ط١/، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١/١٨٣.

(١٠٢) السلوك، ١/١٨٣-١٨٤، ويُنظر، ابن جرير الصنعاني، **تاريخ صنعاء**، ص٤٢، الحمزي، **تاريخ اليَمَن**، ص٣٦، ابن عبد المجيد، **تاريخ اليمن**، ص٢٤.

(١٠٣) المقريزي، **المقفى الكبير**، ٦/٤٤٩.

(١٠٤) **تاريخ اليَمَن**، ص٣٧.

(١٠٥) المقريزي، **المقفى الكبير**، ٦/٤٥٠.

(١٠٦) ابن جرير الصنعاني، **تاريخ صنعاء**، ص٤٢، والقصيدة بكاملها في ديوان الأعشى.

(١٠٧) القصيدة بكاملها موجودة على موقع شبكة شعر مروان بن أبي حفصه ٢٠٢٠، الرابط، bait<http://she3r.net

(١٠٨) البردوني، **اليَمَن الجمهوري**، ص١٤-٢٢.

(١٠٩) الأصفهاني، **الأغاني**، ١٠/٨٦.

(١١٠) **تاريخ اليعقوبي**، ١/٢٦٠.

(١١١) الآبي، **نثر الدرر**، ٣/٦٠، ابن عبد ربه، **العقد الفريد**،٢/٤٤.

(١١٢) الأزدي، **تاريخ الموصل**، ٢/٣٧٧.

(١١٣) **مروج الذهب**،١/٤٤٨.

(١١٤) الأزدي، **تاريخ الموصل**، ٢/٣٧٥.

(١١٥) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت بعد ٣٤٠هـ/٩٥٢م) الإكليل (في أنساب ولد الهميسع بن حمير بن سبأ)، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، ط٢/، ٢/١٢٧، ١٤٠، ومساكن آل خنفر بصعدة.

(١١٦) **تاريخ اليعقوبي**، ١/٢٦٩.

(١١٧) الجندي، **السلوك**، ١/١٨٤.

(١١٨) الحمزي، **تاريخ اليَمَن**، ص٣٧.

(١١٩) ابن الأثير، **الكامل**، ٥/٢٢٠.

(١٢٠) الأمثلة كثيرة على ذلك منها أن أبا خالد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج وفد على مَعْن إلى اليَمَن، وأكرمه بـخمسة

عشر بغلاً، عليها عصب اليَمَن ودراهم، وضروب من الخير، كما أكرم الشاعر الحسين بن مطير لمدحه إياه بسبعة ألف دينار، وكذلك شاعره مروان بن أبي حفصه وغيرهم كثر، للمزيد عن ذلك يُنظر: البلاذري، **أنساب الأشراف**، ٢٣٦/٤-٢٤٠، الآبي، **نثر الدرر**، ١٢٣/٢، ٩٢/٧.

(١٢١) ابن كثير، **الكامل**، ٢٢٠/٥.

(١٢٢) الطبري، **تاريخ الرسل**، ٦٥/٨.

(١٢٣) جواد علي، **المفصل**، ٣٩٨/٧-٤٠٠.

(١٢٤) الهمداني، **الإكليل**، ٣٢٧/٢-٣٢٨، الحميري، **ملوك حمير**، ص ٢١٣.

(١٢٥) الحميري، **ملوك حمير**، ص٢١٣، المقريزي، **المقفى الكبير**، ٤٤٩/٦-٤٥٠. وسجستان من أرض أفغانستان حاليًا.

(١٢٦) الهمداني، **الإكليل**، ٣٣١/٢، الحميري، **ملوك حمير**، ص٢١٣، ومدينة بُسْت من أرض سجستان من أفغانستان حاليًا.

(١٢٧) المقريزي، **المقفى الكبير**، ٤٤٩/٦-٤٥٠.

(١٢٨) وممن تعاون معهم في الرجوع إلى عدن أهل اليمن في الشام ومصر، المقريزي، **المقفى الكبير**، ٤٥٠/٦.

(١٢٩) المصدر نفسه، والصفحات نفسها. وقصير هذ هو من أخذ بثأر سيده جذيمة من الملكة الزباء، والقصة مشهورة متناقلة في كتب الأدب والتاريخ.

(١٣٠) دونت بعض المصادر نتف من تلك القصائد الشعرية للمزيد يُنظر: الحميري، **ملوك حمير**، ص٢١٤-٢١٥، المقريزي، **كتاب المقفى**، ٤٥١/٦.